قصص صينية للأطفال

فريدريك إتش مارتنز



قِصَصٌ صِينِيَّةٌ لِلْأَطْفَالِ

تأليف

فريدريك إتش مارتنز

ترجمة

ندى أحمد قاسم

مراجعة

ضياء ورَّاد



قِصَصٌ صِينِيَّةٌ لِلْأَطْفَالِ

فريدريك إتش مارتنز

Chinese Fairy Tales

Frédéric H. Martens

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: حنان بغدادي.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٤٣٧ ٥

المحتويات

كَلِمَاتُ النِّسَاءِ

فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ، كَانَ هُنَاكَ أَخَوَانِ فِي مَنْزِلٍ وَاحِدٍ يَعِيشَانِ. وَكَانَ الْأَخُ الْكَبِيرُ يُطِيعُ كَلَامَ زَوْجَتِهِ وَبِسَبَبِهَا دَبَّ الْخِلَافُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَخِ الصَّغِيرِ. كَانَ الصَّيْفُ قَدْ بَدَأَ وَكَانَ وَقْتُ نَثْرِ بُذُورِ نَبَاتِ الذُّرَةِ الْبَيْضَاءِ السَّرِيعِ النُّمُوِّ قَدْ حَانَ. لَمْ يَكُنْ لَدَى الْأَخِ الصَّغِيرِ أَيُّ حُبُوبٍ، وَطَلَبَ مِنْ أَخِيهِ أَنْ يُقْرِضَهُ بَعْضًا مِنْهَا، فَأَمَرَ الْأَخُ الْكَبِيرُ زَوْجَتَهُ أَنْ تُعْطِيَهُ إِيَّاهَا. وَلَكِنَّهَا أَخَذَتِ الْحُبُوبَ وَوَضَعَتْهَا فِي قِدْرٍ كَبِيرَةٍ وَطَهَتْهَا حَتَّى نَضِجَتْ، ثُمَّ أَعْطَتْهَا إِلَى الْأَخِ الصَّغِيرِ. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ الْأَخِيرُ أَيَّ شَيْءٍ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَذَهَبَ وَنَثَرَ الْبُذُورَ فِي حَقْلِهِ. وَلَكِنْ لِأَنَّ الْحُبُوبَ كَانَتْ قَدْ طُهِيَتْ، فَلَمْ تَنْبُتْ. حَبَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ لَمْ تَكُنْ قَدْ طُهِيَتْ؛ فَنَمَا بُرْعُمٌ وَاحِدٌ فَقَطْ. كَانَ الْأَخُ الصَّغِيرُ دَءُوبًا وَمُجْتَهِدًا بِطَبْعِهِ، فَأَخَذَ يَرْوِي الْبُرْعُمَ وَيَعْزِقُ الْأَرْضَ طَوَالَ الْيَوْمِ. نَمَا الْبُرْعُمُ نُمُوًّا عَظِيمًا، نَمَا كَشَجَرَةٍ، وَخَرَجَ مِنْهُ فَرْعُ ذُرَةٍ بَيْضَاءَ يُشْبِهُ الْمِظَلَّةَ، وَكَانَ كَبِيرًا بِمَا يَكْفِي لِيُلْقِيَ بِظِلَالِهِ عَلَى نِصْفِ فَدَّانٍ مِنَ الْأَرْضِ. عِنْدَمَا حَلَّ فَصْلُ الْخَرِيفِ، كَانَ الْفَرْعُ نَاضِجًا؛ فَأَخَذَ الْأَخُ الصَّغِيرُ فَأْسَهُ وَقَطَعَهُ، وَلَكِنْ مَا إِنْ سَقَطَ الْفَرْعُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى ظَهَرَ طَائِرُ رُخٍّ ضَخْمٌ وَانْقَضَّ عَلَيْهِ، وَأَمْسَكَ الْفَرْعَ بِمِنْقَارِهِ وَطَارَ بَعِيدًا. رَكَضَ الْأَخُ الصَّغِيرُ وَرَاءَهُ حَتَّى شَاطِئِ الْبَحْرِ.

وَهُنَالِكَ، الْتَفَتَ الطَّائِرُ وَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ كَإِنْسَانٍ، عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: «لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُحَاوِلَ إِيذَائِي! مَا قِيمَةُ هَذَا الْفَرْعِ عِنْدَكَ؟ فَإِلَى شَرْقِ الْبَحْرِ يَقْبَعُ مَمَرُّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. سَأَحْمِلُكَ عَبْرَ الْبَحْرِ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَهُنَاكَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْخُذَ مَا تَشَاءُ وَتُصْبِحَ غَنِيًّا جِدًّا.»

رَضِيَ الْأَخُ الصَّغِيرُ بِذَلِكَ وَتَسَلَّقَ ظَهْرَ الطَّائِرِ. وَأَمَرَهُ الطَّائِرُ أَنْ يُغْلِقَ عَيْنَيْهِ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَسْمَعْ سِوَى الْهَوَاءِ وَهُوَ يَصْفِرُ فِي أُذُنَيْهِ وَكَأَنَّهُ يَنْطَلِقُ عَبْرَ رِيَاحٍ عَاصِفَةٍ، وَمِنْ تَحْتِهِ هَدِيرُ الْأَمْوَاجِ الْمُتَلَاطِمَةِ. فَجْأَةً حَطَّ الطَّائِرُ عَلَى صَخْرَةٍ وَقَالَ: «هَا قَدْ وَصَلْنَا!»

فَتَحَ الْأَخُ الصَّغِيرُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ حَوْلَهُ؛ وَفِي كُلِّ الْجَوَانِبِ لَمْ يَرَ شَيْئًا إِلَّا لَمَعَانَ وَبَرِيقَ كُلِّ أَنْوَاعِ الْأَشْيَاءِ الْمَصْنُوعَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. أَخَذَ بَعْضًا مِنَ الْأَشْيَاءِ الصَّغِيرَةِ وَخَبَّأَهَا فِي صَدْرِهِ.

سَأَلَهُ طَائِرُ الرُّخِّ: «هَلْ مَعَكَ مَا يَكْفِي؟»

أَجَابَ: «نَعَمْ، مَعِي مَا يَكْفِي.»

قَالَ الطَّائِرُ: «هَذَا حَسَنٌ؛ الِاعْتِدَالُ يَحْمِي الْمَرْءَ مِنَ الْأَذَى.»

ثُمَّ حَمَلَهُ مُجَدَّدًا مَرَّةً أُخْرَى.

عِنْدَمَا عَادَ الْأَخُ الصَّغِيرُ، اشْتَرَى قِطْعَةَ أَرْضٍ خِصْبَةً فِي وَقْتٍ مَعْقُولٍ وَأَصْبَحَ مَيْسُورَ الْحَالِ.

وَلَكِنَّ أَخَاهُ كَانَ يَغَارُ مِنْهُ وَقَالَ لَهُ بِغِلْظَةٍ: «مِنْ أَيْنَ تَمَكَّنْتَ مِنْ سَرِقَةِ الْمَالِ؟»

لِذَا أَخْبَرَهُ الْأَخُ الصَّغِيرُ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ كَامِلَةً؛ فَعَادَ الْأَخُ الْكَبِيرُ لِمَنْزِلِهِ وَاسْتَشَارَ زَوْجَتَهُ.

قَالَتِ الزَّوْجَةُ: «لَا شَيْءَ أَسْهَلُ مِنْ ذَلِكَ! سَأَطْهُو الْحُبُوبَ مُجَدَّدًا وَأُبْقِي عَلَى حَبَّةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى لَا تَنْضَجَ، ثُمَّ تَنْثُرُ أَنْتَ الْبُذُورَ وَلْنَرَ مَاذَا سَيَحْدُثُ.»

وَبِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ تَمَّ الْأَمْرُ. وَبِالطَّبْعِ نَمَا بُرْعُمٌ وَاحِدٌ، وَبِالتَّأْكِيدِ حَمَلَ الْبُرْعُمُ فَرْعًا وَاحِدًا مِنَ الذُّرَةِ الْبَيْضَاءِ. وَعِنْدَمَا حَلَّ مَوْعِدُ الْحَصَادِ ظَهَرَ طَائِرُ الرُّخِّ مُجَدَّدًا وَحَمَلَهُ بِمِنْقَارِهِ. شَعَرَ الْأَخُ الْكَبِيرُ بِالسَّعَادَةِ وَرَكَضَ خَلْفَ الطَّائِرِ، وَقَالَ الطَّائِرُ نَفْسَ الْكَلَامِ الَّذِي قَالَهُ مِنْ قَبْلُ وَحَمَلَ الْأَخَ الْكَبِيرَ إِلَى الْجَزِيرَةِ. وَهُنَاكَ شَاهَدَ الْأَخُ الْكَبِيرُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ مُكَدَّسَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ. كَانَتِ الْقِطَعُ الْكَبِيرَةُ تَبْدُو كَالتِّلَالِ، وَالْقِطَعُ الصَّغِيرَةُ كَالْحِجَارَةِ. وَكَانَتِ الْقِطَعُ الصَّغِيرَةُ جِدًّا تَبْدُو كَحَبَّاتِ الرِّمَالِ. أَعْمَى الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ عَيْنَيْهِ. لَمْ يَشْعُرِ الْأَخُ الْأَكْبَرُ حِينَهَا بِشَيْءٍ إِلَّا بِالنَّدَمِ عَلَى عَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِكَيْفِيَّةِ تَحْرِيكِ الْجِبَالِ؛ لِذَا انْحَنَى وَأَخَذَ يَجْمَعُ كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الْقِطَعِ.

قَالَ طَائِرُ الرُّخِّ: «لَدَيْكَ الْآنَ مَا يَكْفِي! سَتُرْهِقُ قُوَاكَ.»

قَالَ الْأَخُ الْكَبِيرُ: «تَحَلَّ بِالْقَلِيلِ مِنَ الصَّبْرِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ. لَا تَكُنْ عَلَى عَجَلَةٍ! يَجِبُ أَنْ أُحْضِرَ الْمَزِيدَ مِنَ الْقِطَعِ!»

وَهَكَذَا مَرَّ الْوَقْتُ.

أَلَحَّ الرُّخُّ عَلَيْهِ مُجَدَّدًا بِأَنْ يُسْرِعَ: «سَتَظْهَرُ الشَّمْسُ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ، وَحَرَارَتُهَا حَارِقَةٌ جِدًّا، فَتُحْرِقُ الْبَشَرَ.»

قَالَ الْأَخُ الْكَبِيرُ: «انْتَظِرْ قَلِيلًا فَحَسْبُ.» وَلَكِنْ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ظَهَرَ قُرْصٌ أَحْمَرُ مِنْ خَلْفِ السَّحَابِ بِقُوَّةٍ هَائِلَةٍ. طَارَ الرُّخُّ إِلَى الْبَحْرِ وَفَرَدَ جَنَاحَيْهِ وَضَرَبَ الْمَاءَ؛ لِيَهْرُبَ مِنَ الْحَرَارَةِ. وَأَمَّا الْأَخُ الْكَبِيرُ فَقَضَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ.

الشُّعَرَاءُ الثَّلَاثَةُ

كَانَ فِي وَقْتٍ مَضَى، ثَلَاثُ شَقِيقَاتٍ فِي عَائِلَةٍ. تَزَوَّجَتِ الْكُبْرَى مِنْ طَبِيبٍ، وَتَزَوَّجَتِ الثَّانِيَةُ مِنْ قَاضٍ، وَلَكِنَّ الثَّالِثَةَ، وَالَّتِي كَانَتْ أَذْكَى مِنَ الْمُعْتَادِ وَمُتَحَدِّثَةً لَبِقَةً، تَزَوَّجَتْ مِنْ مُزَارِعٍ.

وَصَادَفَ فِي يَوْمٍ مَا، أَنَّ وَالِدَيْهِنَّ كَانَا يَحْتَفِلَانِ بِأَحَدِ أَعْيَادِ الْمِيلَادِ؛ لِذَا جَاءَتِ الْبَنَاتُ الثَّلَاثُ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ لِيَتَمَنَّوْا لَهُمَا حَيَاةً مَلِيئَةً بِالسَّعَادَةِ. أَعَدَّ الْوَالِدَانِ وَجْبَةً لِأَصْهَارِهِمَا وَوَضَعُوا النَّبِيذَ عَلَى الطَّاوِلَةِ. كَانَ الصِّهْرُ الْأَكْبَرُ يَعْلَمُ أَنَّ الصِّهْرَ الثَّالِثَ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى الْمَدْرَسَةِ فَأَرَادَ إِحْرَاجَهُ.

قَالَ: «إِنَّ الْجُلُوسَ وَشُرْبَ النَّبِيذِ وَحَسْبُ أَمْرٌ مُمِلٌّ؛ لِنَلْعَبْ لُعْبَةَ شَرَابٍ؛ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَنْظِمَ مَقْطَعًا شِعْرِيًّا عَلَى أَنْ يَكُونَ مُقَفًّى وَيَحْمِلَ دَلَالَةً، مُسْتَخْدِمًا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ: «فِي السَّمَاءِ، عَلَى الْأَرْضِ، عَلَى الطَّاوِلَةِ، فِي الْغُرْفَةِ»، وَمَنْ يَفْشَلْ فِي ذَلِكَ فَعَلَيْهِ شُرْبُ ثَلَاثِ كُئُوسٍ مِنَ النَّبِيذِ كَعِقَابٍ.»

كَانَتِ الْمَجْمُوعَةُ كُلُّهَا مُوَافِقَةً، وَلَكِنَّ الصِّهْرَ الثَّالِثَ شَعَرَ بِالْحَرَجِ وَأَصَرَّ عَلَى الرَّحِيلِ، وَلَكِنَّ الضُّيُوفَ لَمْ يَسْمَحُوا لَهُ بِالِانْصِرَافِ وَأَصَرُّوا عَلَى بَقَائِهِ فِي كُرْسِيِّهِ.

بَدَأَ الصِّهْرُ الْأَكْبَرُ اللُّعْبَةَ: سَأَبْدَأُ أَنَا بِمَقْطَعِي، وَهَذَا هُوَ:

فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ طَائِرُ الْعَنْقَاءِ فِي تَصْمِيمٍ،
عَلَى الْأَرْضِ يَسْتَلْقِي الْحَمَلُ الرَّضِيعُ بِهُدُوءٍ،
عَلَى الطَّاوِلَةِ أَتَصَفَّحُ كِتَابًا قَدِيمًا،
فِي الْغُرْفَةِ أَسْتَدْعِي الْخَادِمَةَ بِهُدُوءٍ.

وَأَكْمَلَ الصِّهْرُ الثَّانِي: وَأَنَا أَقُولُ:

فِي السَّمَاءِ تَطِيرُ الْحَمَامَةُ فِي الْأَنْحَاءِ،
عَلَى الْأَرْضِ يَضْرِبُ الثَّوْرُ بِحَوَافِّهِ الْأَرْجَاءَ،
عَلَى الطَّاوِلَةِ يَدْرُسُ الْمَرْءُ الْأَيَّامَ السَّالِفَةَ،
فِي الْغُرْفَةِ تَكْنُسُ الْأَرْضَ الْخَادِمَةُ.

وَلَكِنَّ الصِّهْرَ الثَّالِثَ تَلَعْثَمَ وَلَمْ يَجِدْ مَا يَقُولُهُ، وَعِنْدَمَا أَصَرَّ الْجَمِيعُ، انْدَفَعَ بِطَبَقَةِ صَوْتٍ خَشِنَةٍ:

فِي السَّمَاءِ تَطِيرُ رَصَاصَةٌ،
عَلَى الْأَرْضِ يَتَحَرَّكُ نَمِرٌ خِلْسَةً،
عَلَى الطَّاوِلَةِ مِقَصٌّ،
فِي الْغُرْفَةِ أُنَادِي صَبِيَّ الْإِسْطَبْلِ.

صَفَّقَ الصِّهْرَانِ وَضَحِكَا بِصَوْتٍ عَالٍ.

قَالَا: «حَسَنًا، السُّطُورُ الْأَرْبَعَةُ غَيْرُ مُقَفَّاةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، كَمَا أَنَّهَا لَا تَعْنِي شَيْئًا. الرَّصَاصَةُ لَيْسَتْ طَائِرًا، وَصَبِيُّ الْإِسْطَبْلِ يُؤَدِّي عَمَلَهُ فِي الْخَارِجِ؛ لِمَاذَا تَسْتَدْعِيهِ إِلَى الْغُرْفَةِ؟ كَلَامٌ فَارِغٌ فَارِغٌ! اشْرَبْ!»

وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَا مِنَ الْكَلَامِ، رَفَعَتِ الِابْنَةُ الثَّالِثَةُ سِتَارَ غُرْفَةِ النِّسَاءِ وَخَرَجَتْ. كَانَتْ غَاضِبَةً وَلَكِنَّهَا لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ كَتْمِ ضَحِكَتِهَا.

قَالَتْ: «كَيْفَ لَا يَكُونُ لِسُطُورِنَا مَعْنًى؟ اسْتَمِعُوا لِلَحْظَةٍ وَسَأَشْرَحُهَا لَكُمْ: فِي السَّمَاءِ سَتُصِيبُ رَصَاصَتُنَا الْعَنْقَاءَ وَالْحَمَامَةَ. عَلَى الْأَرْضِ سَيَفْتَرِسُ النَّمِرُ حَمَلَكَ وَثَوْرَكَ. عَلَى الطَّاوِلَةِ سَيُمَزِّقُ الْمِقَصُّ كُلَّ كُتُبِكُمُ الْقَدِيمَةَ. وَأَخِيرًا فِي الْغُرْفَةِ … حَسَنًا! فَتَى الْإِسْطَبْلِ يُمْكِنُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْخَادِمَةَ!»

ثُمَّ قَالَ الصِّهْرُ الْأَكْبَرُ: «يَا لَهُ مِنْ تَوْبِيخٍ! يَا أُخْتَاهُ، أَنْتِ تَعْرِفِينَ كَيْفَ تَتَحَدَّثِينَ! لَوْ كُنْتِ رَجُلًا لَكُنْتِ حَصَلْتِ عَلَى دَرَجَةٍ عِلْمِيَّةٍ مُنْذُ زَمَنٍ. وَكَعِقَابٍ، سَنَشْرَبُ نَحْنُ ثَلَاثَ كُئُوسٍ.»

الطَّائِرُ ذُو الرُّءُوسِ التِّسْعَةِ

فِي غَابِرِ الزَّمَانِ، كَانَ يَعِيشُ مَلِكٌ وَمَلِكَةٌ وَكَانَ لَدَيْهِمَا ابْنَةٌ. وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، عِنْدَمَا كَانَتِ الِابْنَةُ تَسِيرُ فِي الْحَدِيقَةِ، هَبَّتْ عَاصِفَةٌ جَبَّارَةٌ فَجْأَةً وَحَمَلَتْهَا بَعِيدًا. جَاءَتِ الْعَاصِفَةُ مِنَ الطَّائِرِ ذِي الرُّءُوسِ التِّسْعَةِ، الَّذِي خَطَفَ الْأَمِيرَةَ وَأَخَذَهَا إِلَى كَهْفِهِ. لَمْ يَعْلَمِ الْمَلِكُ أَيْنَ اخْتَفَتِ ابْنَتُهُ؛ لِذَا أَذَاعَ عَبْرَ الْمَمْلَكَةِ: «مَنْ يُعِدِ الْأَمِيرَةَ يُمْكِنْهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا!»

كَانَ شَابٌّ قَدْ رَأَى الطَّائِرَ وَهُوَ يَحْمِلُ الْأَمِيرَةَ إِلَى كَهْفِهِ. وَلَكِنَّ هَذَا الْكَهْفَ كَانَ فِي وَسَطِ جَبَلٍ شَدِيدِ الِانْحِدَارِ؛ لَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ تَسَلُّقَهُ مِنْ أَسْفَلَ وَلَا يَسْتَطِيعُ النُّزُولَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْلَى. وَبَيْنَمَا كَانَ الشَّابُّ يَسِيرُ حَوْلَ الْجَبَلِ، جَاءَهُ شَابٌّ آخَرُ وَسَأَلَهُ: مَاذَا يَفْعَلُ هُنَا؟ فَأَخْبَرَهُ الشَّابُّ الْأَوَّلُ أَنَّ الطَّائِرَ ذَا الرُّءُوسِ التِّسْعَةِ قَدْ طَارَ بِابْنَةِ الْمَلِكِ وَجَاءَ بِهَا إِلَى كَهْفِهِ. كَانَ الشَّابُّ الْآخَرُ يَعْلَمُ مَاذَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ. نَادَى الشَّابُّ أَصْدِقَاءَهُ وَقَامُوا بِإِنْزَالِ الشَّابِّ الْأَوَّلِ إِلَى الْكَهْفِ فِي سَلَّةٍ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ الْكَهْفَ، رَأَى ابْنَةَ الْمَلِكِ تَجْلِسُ هُنَاكَ وَتُنَظِّفُ جُرْحَ الطَّائِرِ ذِي الرُّءُوسِ التِّسْعَةِ؛ حَيْثُ إِنَّ كَلْبَ الْجَنَّةِ كَانَ قَدْ قَضَمَ رَأْسَهُ الْعَاشِرَ، وَكَانَ جُرْحُهُ لَا يَزَالُ يَنْزِفُ. أَشَارَتِ الْأَمِيرَةُ إِلَى الشَّابِّ لِيَخْتَبِئَ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ. بَعْدَ انْتِهَاءِ ابْنَةِ الْمَلِكِ مِنْ تَنْظِيفِ الْجُرْحِ وَتَضْمِيدِهِ، بَلَغَ شُعُورُ الطَّائِرِ ذِي الرُّءُوسِ التِّسْعَةِ بِالرَّاحَةِ أَنْ غَطَّتْ رُءُوسُهُ رَأْسًا تِلْوَ الْأُخْرَى فِي النَّوْمِ. عِنْدَئِذٍ خَرَجَ الشَّابُّ مِنْ مَخْبَئِهِ وَقَطَعَ الرُّءُوسَ التِّسْعَةَ كُلَّهَا بِالسَّيْفِ. قَالَتِ ابْنَةُ الْمَلِكِ: «مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَصْعَدَ أَنْتَ أَوَّلًا ثُمَّ أَتْبَعَكَ أَنَا.»

قَالَ الشَّابُّ: «كَلَّا، سَأَنْتَظِرُ فِي الْأَسْفَلِ هُنَا حَتَّى تُصْبِحِينَ فِي أَمَانٍ.» فِي بَادِئِ الْأَمْرِ لَمْ تَكُنِ ابْنَةُ الْمَلِكِ مُقْتَنِعَةً، وَلَكِنَّهَا اقْتَنَعَتْ عَلَى مَضَضٍ وَتَسَلَّقَتِ السَّلَّةَ. وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ، أَخَذَتْ دَبُّوسًا كَبِيرًا مِنْ شَعْرِهَا وَقَسَمَتْهُ إِلَى نِصْفَيْنِ وَأَعْطَتْهُ نِصْفًا وَاحْتَفَظَتْ بِالْآخَرِ،

كَمَا قَسَمَتْ مِنْدِيلَهَا الْحَرِيرِيَّ مَعَهُ وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَدَايَاهَا. وَلَكِنْ عِنْدَمَا رَفَعَ الشَّابُّ الْآخَرُ ابْنَةَ الْمَلِكِ، أَخَذَهَا مَعَهُ وَتَرَكَ الشَّابَّ فِي الْكَهْفِ بِالرَّغْمِ مِنْ صَرَخَاتِهِ وَتَوَسُّلَاتِهِ.

أَخَذَ الشَّابُّ يَتَجَوَّلُ فِي الْكَهْفِ. رَأَى الْكَثِيرَ مِنَ الْفَتَيَاتِ اللَّائِي حَمَلَهُنَّ الطَّائِرُ ذُو الرُّءُوسِ التِّسْعَةِ وَقَدْ هَلَكْنَ هُنَاكَ مِنَ الْجُوعِ. وَعَلَى الْحَائِطِ كَانَتْ هُنَاكَ سَمَكَةٌ مُعَلَّقَةٌ مُثَبَّتَةٌ بِأَرْبَعَةِ مَسَامِيرَ. عِنْدَمَا لَمَسَ الشَّابُّ السَّمَكَةَ تَحَوَّلَتْ إِلَى شَابٍّ وَسِيمٍ، وَالَّذِي شَكَرَهُ لِتَخْلِيصِهِ، وَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَعْتَبِرَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ أَخَاهُ. بَعْدَ فَتْرَةٍ شَعَرَ الشَّابُّ الْأَوَّلُ بِالْجُوعِ، فَخَرَجَ أَمَامَ الْكَهْفِ لِيَبْحَثَ عَنْ طَعَامٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الصُّخُورَ، ثُمَّ فَجْأَةً رَأَى تِنِّينًا ضَخْمًا يَلْعَقُ حَجَرًا. قَلَّدَهُ الشَّابُّ وَبَعْدَ فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ ذَهَبَ عَنْهُ جُوعُهُ. بَعْدَ ذَلِكَ سَأَلَ الشَّابُّ التِّنِّينَ كَيْفَ يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ مِنَ الْكَهْفِ، فَأَوْمَأَ التِّنِّينُ بِرَأْسِهِ مُشِيرًا بِهَا إِلَى ذَيْلِهِ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ بِإِمْكَانِكَ الْجُلُوسُ عَلَيْهِ. لِذَا تَسَلَّقَ الشَّابُّ ذَيْلَهُ، وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ وَجَدَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَقَدِ اخْتَفَى التِّنِّينُ. اسْتَمَرَّ فِي السَّيْرِ حَتَّى وَجَدَ تُرْسَ سُلَحْفَاةٍ مَلِيئًا بِاللَّآلِئِ الْجَمِيلَةِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لَآلِئَ سِحْرِيَّةً؛ إِذَا أَلْقَيْتَهَا فِي النَّارِ تَنْطَفِئُ، وَإِذَا أَلْقَيْتَهَا فِي الْمَاءِ يَنْقَسِمُ وَتَتَمَكَّنُ مِنَ السَّيْرِ وَسَطَهُ. أَخَذَ الشَّابُّ اللَّآلِئَ مِنْ تُرْسِ السُّلَحْفَاةِ وَوَضَعَهَا فِي جَيْبِهِ. بَعْدَ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ وَصَلَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. وَهُنَاكَ رَمَى لُؤْلُؤَةً فِي الْبَحْرِ، وَفَوْرًا انْقَسَمَ الْمَاءُ وَتَمَكَّنَ مِنْ رُؤْيَةِ التِّنِّينِ الْمَائِيِّ. صَاحَ التِّنِّينُ الْمَائِيُّ: «مَنِ الَّذِي يُزْعِجُنِي هُنَا فِي مَمْلَكَتِي؟» أَجَابَ الشَّابُّ: «لَقَدْ وَجَدْتُ لَآلِئَ فِي تُرْسِ سُلَحْفَاةٍ وَأَلْقَيْتُ وَاحِدَةً مِنْهَا فِي الْبَحْرِ، وَالْآنَ انْقَسَمَ الْمَاءُ مِنْ أَجْلِي.»

قَالَ التِّنِّينُ: «إِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا، فَتَعَالَ إِلَى الْبَحْرِ مَعِي وَسَنَعِيشُ مَعًا.» عِنْدَئِذٍ تَعَرَّفَ الشَّابُّ عَلَيْهِ؛ إِذْ كَانَ هُوَ التِّنِّينَ نَفْسَهُ الَّذِي رَآهُ فِي الْكَهْفِ، وَكَانَ مَعَهُ الشَّابُّ الَّذِي كَوَّنَ مَعَهُ رَابِطَةَ أُخُوَّةٍ. كَانَ ذَلِكَ الشَّابُّ هُوَ ابْنَ التِّنِّينِ.

قَالَ التِّنِّينُ الْكَبِيرُ: «حَيْثُ إِنَّكَ أَنْقَذْتَ ابْنِي وَأَصْبَحْتَ أَخَاهُ فَأَنْتَ أَيْضًا ابْنِي.» وَاسْتَضَافَهُ بِتَرْحَابٍ وَقَدَّمَ لَهُ الطَّعَامَ وَالنَّبِيذَ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ قَالَ لَهُ صَدِيقُهُ: «مِنَ الْأَكِيدِ أَنَّ وَالِدِي يُرِيدُ مُكَافَأَتَكَ. وَلَكِنْ لَا تَقْبَلْ مِنْهُ أَيَّ أَمْوَالٍ وَلَا أَيَّ جَوَاهِرَ، وَلَكِنْ فَقَطِ الْقَارُورَةَ السِّحْرِيَّةَ الْمَوْجُودَةَ هُنَاكَ؛ فَيُمْكِنُكَ اسْتِحْضَارُ مَا تَتَمَنَّاهُ بِهَا.»

وَبِالْفِعْلِ سَأَلَ التِّنِّينُ الْكَبِيرُ الشَّابَّ مَاذَا يُرِيدُ كَمُكَافَأَةٍ، وَأَجَابَهُ الشَّابُّ: «لَا أُرِيدُ أَيَّ مَالٍ أَوْ جَوَاهِرَ. كُلُّ مَا أُرِيدُهُ هُوَ الْقَارُورَةُ الصَّغِيرَةُ الْمَوْجُودَةُ هُنَاكَ.»

فِي بَادِئِ الْأَمْرِ لَمْ يُرِدِ التِّنِّينُ التَّخَلِّيَ عَنْهَا، وَلَكِنْ فِي النِّهَايَةِ سَمَحَ لَهُ بِأَخْذِهَا. وَعِنْدَ ذَلِكَ تَرَكَ الشَّابُّ قَلْعَةَ التِّنِّينِ.

عِنْدَمَا وَضَعَ الشَّابُّ قَدَمَهُ عَلَى الْيَابِسَةِ مُجَدَّدًا شَعَرَ بِالْجُوعِ، وَفِي التَّوِّ وَاللَّحْظَةِ ظَهَرَتْ أَمَامَهُ طَاوِلَةٌ عَامِرَةٌ بِوَجْبَةٍ رَائِعَةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ. أَكَلَ الشَّابُّ وَشَرِبَ. وَبَعْدَ السَّيْرِ لِفَتْرَةٍ شَعَرَ بِالتَّعَبِ. وَفَوْرًا كَانَ أَمَامَهُ حِمَارٌ يَنْتَظِرُهُ، وَرَكِبَهُ الشَّابُّ. بَعْدَ السَّيْرِ لِفَتْرَةٍ، أَصْبَحَتْ خُطُوَاتُ الْحِمَارِ مُتَعَثِّرَةً فَظَهَرَتْ عَرَبَةٌ وَاسْتَقَلَّهَا الشَّابُّ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَهْتَزُّ هِيَ الْأُخْرَى؛ فَفَكَّرَ الشَّابُّ «لَوْ أَنِّي أَمْلِكُ مِحَفَّةً وَثِيرَةً كَانَ الْأَمْرُ سَيُنَاسِبُنِي أَكْثَرَ!» وَبِمُجَرَّدِ تَفْكِيرِهِ فِي الْأَمْرِ، ظَهَرَتِ الْمِحَفَّةُ الْوَثِيرَةُ وَجَلَسَ عَلَيْهَا لِيَحْمِلَهُ الْحَامِلُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ يَسْكُنُ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ وَابْنَتُهُمَا.

عِنْدَمَا أَعَادَ الشَّابُّ الْآخَرُ ابْنَةَ الْمَلِكِ، تَقَرَّرَ إِقَامَةُ حَفْلِ الزِّفَافِ، وَلَكِنَّ ابْنَةَ الْمَلِكِ لَمْ تَكُنْ مُوَافِقَةً وَقَالَتْ: «إِنَّهُ لَيْسَ الرَّجُلَ الصَّحِيحَ. مُنْقِذِي سَيَأْتِي وَسَيَجْلِبُ مَعَهُ نِصْفَ دَبُّوسٍ طَوِيلٍ لِشَعْرِي وَنِصْفَ مِنْدِيلِي الْحَرِيرِيِّ.» وَلَكِنْ عِنْدَمَا لَمْ يَظْهَرِ الشَّابُّ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ وَضَغَطَ الشَّابُّ الْآخَرُ عَلَى الْمَلِكِ؛ نَفِدَ صَبْرُ الْمَلِكِ وَقَالَ: «سَيُقَامُ حَفْلُ الزِّفَافِ غَدًا!» خَرَجَتِ ابْنَةُ الْمَلِكِ إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَهِيَ حَزِينَةٌ وَبَحَثَتْ وَبَحَثَتْ عَلَى أَمَلِ أَنْ تَجِدَ مُنْقِذَهَا. وَكَانَ هَذَا هُوَ نَفْسَ الْيَوْمِ الَّذِي وَصَلَتْ فِيهِ الْمِحَفَّةُ الْوَثِيرَةُ. رَأَتِ ابْنَةُ الْمَلِكِ نِصْفَ مِنْدِيلِهَا الْحَرِيرِيِّ فِي يَدِ الشَّابِّ فَقَادَتْهُ إِلَى وَالِدِهَا وَهِيَ فِي مُنْتَهَى السَّعَادَةِ. وَهُنَاكَ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُقَدِّمَ نِصْفَ الدَّبُّوسِ الطَّوِيلِ، وَالَّذِي نَاسَبَ النِّصْفَ الْآخَرَ تَمَامًا، وَعِنْدَهَا اقْتَنَعَ الْمَلِكُ أَنَّ الشَّابَّ هُوَ الْمُنْقِذُ الْحَقِيقِيُّ. وَعُوقِبَ الْعَرِيسُ الْمُزَيَّفُ، وَتَمَّ الِاحْتِفَالُ بِالزِّفَافِ، وَعَاشَ الْعَرُوسَانِ فِي سَلَامٍ وَسَعَادَةٍ طَوَالَ الْعُمُرِ.

كَهْفُ الْوُحُوشِ

يُحْكَى أَنَّهُ كَانَتْ هُنَاكَ عَائِلَةٌ بِهَا سَبْعُ شَقِيقَاتٍ. وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، خَرَجَ الْأَبُ لِجَمْعِ الْأَخْشَابِ وَوَجَدَ سَبْعَ بَيْضَاتِ بَطٍّ بَرِّيٍّ. أَخَذَهَا الْأَبُ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ فِي إِعْطَاءِ أَيٍّ مِنْهَا إِلَى بَنَاتِهِ؛ فَقَدْ كَانَ يُرِيدُ أَكْلَهَا مَعَ زَوْجَتِهِ. فِي الْمَسَاءِ، اسْتَيْقَظَتِ الِابْنَةُ الْكُبْرَى مِنَ النَّوْمِ وَسَأَلَتْ أُمَّهَا: مَاذَا تَطْبُخُ؟ قَالَتِ الْأُمُّ: «أَنَا أَطْبُخُ بَيْضَ الْبَطِّ الْبَرِّيِّ. سَأُعْطِيكِ وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَجِبُ أَلَّا تُخْبِرِي أَخَوَاتِكِ بِالْأَمْرِ.» وَأَعْطَتْهَا الْأُمُّ بَيْضَةً. ثُمَّ اسْتَيْقَظَتِ الِابْنَةُ الثَّانِيَةُ وَسَأَلَتِ الْأُمَّ: مَاذَا تَطْبُخُ؟ قَالَتْ: «بَيْضَ الْبَطِّ الْبَرِّيِّ. إِذَا لَمْ تُخْبِرِي أَخَوَاتِكِ فَسَأُعْطِيكِ وَاحِدَةً.» وَأَعْطَتْهَا بَيْضَةً بِالْفِعْلِ. وَفِي النِّهَايَةِ، أَكَلَتِ الْفَتَيَاتُ الْبَيْضَ كُلَّهُ وَلَمْ يَتَبَقَّ شَيْءٌ.

فِي الصَّبَاحِ، كَانَ الْأَبُ غَاضِبًا جِدًّا مِنْ بَنَاتِهِ، وَقَالَ: «مَنْ مِنْكُنَّ تُرِيدُ الذَّهَابَ مَعِي إِلَى الْجَدَّةِ؟» وَلَكِنَّهُ كَانَ يَنْوِي أَنْ يَقُودَ الْفَتَيَاتِ إِلَى الْجِبَالِ وَيَتْرُكَ الذِّئَابَ تَفْتَرِسُهُنَّ هُنَاكَ. شَكَّتِ الْفَتَيَاتُ الْكَبِيرَاتُ فِي الْأَمْرِ وَقُلْنَ: «نَحْنُ لَنْ نَذْهَبَ مَعَكَ!» وَلَكِنَّ الِاثْنَتَيْنِ الْأَصْغَرَ سِنًّا قَالَتَا: «سَنَذْهَبُ نَحْنُ مَعَكَ.» وَبِذَلِكَ انْطَلَقَتَا مَعَ وَالِدِهِمَا. وَبَعْدَ أَنْ سَارُوا مَسَافَةً جَيِّدَةً سَأَلَتَاهُ: «هَلْ سَنَصِلُ قَرِيبًا إِلَى بَيْتِ الْجَدَّةِ؟» فَقَالَ وَالِدُهُمَا: «قَرِيبًا جِدًّا.» وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى الْجِبَالِ قَالَ لَهُمَا: «انْتَظِرَا هُنَا. سَأَذْهَبُ إِلَى الْقَرْيَةِ قَبْلَكُمَا وَأُخْبِرُ الْجَدَّةَ أَنَّكُمَا قَادِمَتَانِ.» ثُمَّ تَرَكَهُمَا وَانْطَلَقَ بِالْعَرَبَةِ الَّتِي يَجُرُّهَا الْحِمَارُ. انْتَظَرَتَا وَانْتَظَرَتَا وَلَكِنَّ وَالِدَهُمَا لَمْ يَعُدْ قَطُّ. فِي النِّهَايَةِ، أَدْرَكَتَا أَنَّ وَالِدَهُمَا لَنْ يَعُودَ لِأَخْذِهِمَا، وَأَنَّهُ قَدْ تَرَكَهُمَا وَحْدَهُمَا فِي الْجِبَالِ؛ فَأَخَذَتَا تَتَوَغَّلَانِ أَكْثَرَ عَبْرَ التِّلَالِ بَحْثًا عَنْ مَأْوًى لِقَضَاءِ اللَّيْلَةِ، ثُمَّ وَجَدَتَا صَخْرَةً كَبِيرَةً

اخْتَارَتَاهَا كَوِسَادَةٍ وَنَقَلَتَاهَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي سَتَنَامَانِ فِيهِ. وَعِنْدَئِذٍ اكْتَشَفَتَا أَنَّ الصَّخْرَةَ مَا هِيَ إِلَّا بَابٌ يَقُودُ إِلَى كَهْفٍ. كَانَ هُنَاكَ ضَوْءٌ فِي الْكَهْفِ فَدَخَلَتِ الْفَتَاتَانِ. كَانَ الضَّوْءُ نَابِعًا مِنَ الْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ الْكَثِيرَةِ وَالْمُجَوْهَرَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ فِي الْكَهْفِ، وَالَّتِي كَانَتْ مِلْكًا لِذِئْبٍ وَثَعْلَبٍ. كَانَ لَدَيْهِمَا عِدَّةُ أَوْعِيَةٍ مَلِيئَةٍ بِالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ وَاللَّآلِئِ الَّتِي تُشِعُّ ضَوْءًا فِي اللَّيْلِ. قَالَتِ الْفَتَاتَانِ: «كَمْ هُوَ جَمِيلٌ هَذَا الْكَهْفُ! سَنَسْتَلْقِي هُنَا وَنَخْلُدُ إِلَى النَّوْمِ.» فَقَدْ كَانَ هُنَاكَ سَرِيرَانِ ذَهَبِيَّانِ وَأَغْطِيَةٌ مَشْغُولَةٌ بِالذَّهَبِ. وَهَكَذَا اسْتَلْقَتِ الْفَتَاتَانِ وَخَلَدَتَا إِلَى النَّوْمِ. أَثْنَاءَ اللَّيْلِ عَادَ الذِّئْبُ وَالثَّعْلَبُ إِلَى مَنْزِلِهِمَا وَقَالَ الذِّئْبُ: «أَشْتَمُّ رَائِحَةَ لَحْمٍ بَشَرِيٍّ!» وَلَكِنَّ الثَّعْلَبَ أَجَابَ: «هَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ! لَا يُمْكِنُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ دُخُولُ كَهْفِنَا. نَحْنُ نُغْلِقُهُ جَيِّدًا بِحَيْثُ لَا يَدْخُلُهُ بَشَرٌ.» قَالَ الذِّئْبُ: «حَسَنًا. إِذَنْ دَعْنَا نَسْتَلْقِ فِي فِرَاشِنَا وَنَنَمْ.» وَلَكِنَّ الثَّعْلَبَ أَجَابَ: «دَعْنَا نَسْتَلْقِ فِي الْقُدُورِ عَلَى الْمِدْفَأَةِ؛ فَهِيَ لَا تَزَالُ تَحْمِلُ الدِّفْءَ مِنَ النِّيرَانِ.» كَانَ هُنَاكَ قِدْرٌ مِنَ الذَّهَبِ وَآخَرُ مِنَ الْفِضَّةِ، فَالْتَفَّ كُلٌّ مِنْهُمَا حَوْلَ نَفْسِهِ فِي أَحَدِهِمَا.

عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتِ الْفَتَاتَانِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَجَدَتَا الذِّئْبَ وَالثَّعْلَبَ نَائِمَيْنِ. شَعَرَتِ الْفَتَاتَانِ بِالْخَوْفِ الشَّدِيدِ؛ فَقَامَتَا بِوَضْعِ الْأَغْطِيَةِ عَلَى الْقِدْرَيْنِ، وَوَضَعَتَا صُخُورًا كَبِيرَةً فَوْقَهُمَا حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ الذِّئْبُ وَالثَّعْلَبُ الْخُرُوجَ مُجَدَّدًا، ثُمَّ أَشْعَلَتَا النِّيرَانَ. قَالَ الذِّئْبُ وَالثَّعْلَبُ: «الْجَوُّ رَائِعٌ وَدَافِئٌ هَذَا الصَّبَاحَ! كَيْفَ يُمْكِنُ ذَلِكَ؟» وَبَعْدَ فَتْرَةٍ أَصْبَحَ الْقِدْرَانِ شَدِيدَيِ السُّخُونَةِ بِالنِّسْبَةِ لَهُمَا، ثُمَّ أَدْرَكَا أَنَّ الْفَتَاتَيْنِ قَدْ أَشْعَلَتَا النِّيرَانَ تَحْتَ الْقِدْرَيْنِ فَصَرَخَا: «أَخْرِجَانَا مِنْ هُنَا! سَنُعْطِيكُمَا الْأَحْجَارَ الْكَرِيمَةَ وَالْكَثِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَلَنْ نُؤْذِيَكُمَا!» وَلَكِنَّ الْفَتَاتَيْنِ لَمْ تَسْتَمِعَا لَهُمَا وَأَذْكَتَا مَزِيدًا مِنَ النِّيرَانِ. وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ نِهَايَةَ الذِّئْبِ وَالثَّعْلَبِ فِي دَاخِلِ الْقُدُورِ.

عَاشَتِ الْفَتَاتَانِ بِسَعَادَةٍ فِي الْكَهْفِ لِعِدَّةِ أَيَّامٍ، وَلَكِنَّ وَالِدَهُمَا شَعَرَ بِالشَّوْقِ لِبَنَاتِهِ فَذَهَبَ إِلَى الْجِبَالِ لِيَبْحَثَ عَنْهُمَا، وَجَلَسَ عَلَى الصَّخْرَةِ أَمَامَ الْكَهْفِ لِيَسْتَرِيحَ وَطَرَقَ غَلْيُونَهُ بِخِفَّةٍ عَلَيْهَا لِيُفْرِغَ الرَّمَادَ؛ فَنَادَتِ الْفَتَاتَانِ مِنَ الدَّاخِلِ: «مَنِ الَّذِي يَطْرُقُ بَابَنَا؟» فَتَسَاءَلَ الْأَبُ: «أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَصْوَاتَ بَنَاتِي؟» وَتَسَاءَلَتِ الْفَتَاتَانِ: «أَلَيْسَ هَذَا هُوَ صَوْتَ أَبِينَا؟» قَامَتِ الْفَتَاتَانِ بِدَفْعِ الصَّخْرَةِ جَانِبًا لِتَكْتَشِفَا أَنَّهُ وَالِدُهُمَا بِالْفِعْلِ. وَكَانَ وَالِدُهُمَا سَعِيدًا لِرُؤْيَتِهِمَا مَرَّةً أُخْرَى. كَانَ الْأَبُ مُتَفَاجِئًا مِنْ تَمَكُّنِهِمَا مِنَ الْحُصُولِ عَلَى هَذَا الْكَهْفِ الْمَلِيءِ بِالْأَحْجَارِ

الْكَرِيمَةِ، وَقَامَتِ الْفَتَاتَانِ بِإِخْبَارِهِ بِالْقِصَّةِ كُلِّهَا. قَامَ الْأَبُ بِإِحْضَارِ بَعْضِ الْأَشْخَاصِ لِمُسَاعَدَتِهِمْ فِي حَمْلِ الْمُجَوْهَرَاتِ إِلَى الْمَنْزِلِ. وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى مَنْزِلِهِمْ وَتَسَاءَلَتِ الْأُمُّ عَنْ مَصْدَرِ كُلِّ هَذِهِ الْكُنُوزِ، أَخْبَرَهَا الْأَبُ وَالْفَتَاتَانِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَصْبَحُوا عَائِلَةً غَنِيَّةً جِدًّا، وَعَاشُوا فِي سَعَادَةٍ طَوَالَ حَيَاتِهِمْ.

الْفَهْدُ

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، كَانَتْ هُنَاكَ أَرْمَلَةٌ لَهَا مِنَ الْأَوْلَادِ ابْنَتَانِ وَابْنٌ صَغِيرٌ. وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ قَالَتِ الْأُمُّ لِابْنَتَيْهَا: «اعْتَنِيَا بِالْمَنْزِلِ جَيِّدًا؛ فَأَنَا ذَاهِبَةٌ لِزِيَارَةِ الْجَدَّةِ وَسَآخُذُ مَعِي أَخَاكُمَا الصَّغِيرَ!» وَقَدْ وَعَدَتْهَا الْفَتَاتَانِ بِذَلِكَ وَرَحَلَتِ الْأُمُّ. وَفِي طَرِيقِهَا، قَابَلَتِ الْأُمُّ فَهْدًا وَسَأَلَهَا إِلَى أَيْنَ كَانَتْ ذَاهِبَةً.

قَالَتْ: «أَنَا ذَاهِبَةٌ مَعَ ابْنِي لِرُؤْيَةِ وَالِدَتِي.»

سَأَلَ الْفَهْدُ: «أَلَا تُرِيدِينَ الْجُلُوسَ لِتَنَالِي قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ؟»

قَالَتْ: «كَلَّا، فَالْوَقْتُ مُتَأَخِّرٌ وَالطَّرِيقُ إِلَى مَنْزِلِ أُمِّي طَوِيلٌ.»

وَلَكِنَّ الْفَهْدَ لَمْ يَتَوَقَّفْ عَنْ مُحَاوَلَةِ إِقْنَاعِهَا. وَفِي النِّهَايَةِ اسْتَسْلَمَتْ وَجَلَسَتْ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ.

قَالَ الْفَهْدُ: «سَأُمَشِّطُ شَعْرَكِ قَلِيلًا.» وَسَمَحَتِ الْمَرْأَةُ لِلْفَهْدِ بِتَمْشِيطِ شَعْرِهَا. وَلَكِنْ بَيْنَمَا كَانَتْ حَوَافِرُهُ تُمَشِّطُ شَعْرَهَا، قَامَ بِقَطْعِ جُزْءٍ مِنْ جِلْدِهَا وَالْتَهَمَهُ.

صَرَخَتِ الْمَرْأَةُ: «تَوَقَّفْ! طَرِيقَةُ تَمْشِيطِكَ لِلشَّعْرِ مُؤْلِمَةٌ!»

وَلَكِنَّ الْفَهْدَ قَطَعَ جُزْءًا أَكْبَرَ مِنْ جِلْدِهَا. وَالْآنَ أَرَادَتِ السَّيِّدَةُ طَلَبَ النَّجْدَةِ، وَلَكِنَّ الْفَهْدَ تَمَكَّنَ مِنْهَا وَالْتَهَمَهَا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى ابْنِهَا الصَّغِيرِ وَقَتَلَهُ هُوَ أَيْضًا. قَامَ الْفَهْدُ بِارْتِدَاءِ مَلَابِسِ السَّيِّدَةِ وَوَضَعَ عِظَامَ الطِّفْلِ الَّتِي لَمْ يَتَنَاوَلْهَا بَعْدُ فِي سَلَّتِهَا. بَعْدَ ذَلِكَ، تَوَجَّهَ الْفَهْدُ إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ حَيْثُ كَانَتِ ابْنَتَاهَا وَنَادَى عَلَى الْبَابِ: «افْتَحَا الْبَابَ يَا بَنَاتِي! لَقَدْ عَادَتْ أُمُّكُمَا!»

وَلَكِنَّ الْفَتَاتَيْنِ نَظَرَتَا مِنْ خِلَالِ شَقٍّ فِي الْحَائِطِ وَقَالَتَا: «لَمْ تَكُنْ عَيْنَا أُمِّنَا كَبِيرَتَيْنِ مِثْلَ عَيْنَيْكَ!»

فَقَالَ الْفَهْدُ: «لَقَدْ كُنْتُ فِي مَنْزِلِ الْجَدَّةِ وَرَأَيْتُ الدَّجَاجَ وَهُوَ يَضَعُ الْبَيْضَ وَقَدْ أَسْعَدَنِي هَذَا؛ وَلِذَلِكَ كَبُرَتْ عَيْنَايَ بِهَذَا الْحَجْمِ.»

«لَمْ يَكُنْ وَجْهُ أُمِّنَا مُرَقَّطًا مِثْلَ وَجْهِكَ.»

«لَمْ يَكُنْ لَدَى الْجَدَّةِ سَرِيرٌ إِضَافِيٌّ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ عَلَيَّ النَّوْمُ عَلَى حُبُوبِ الْبَازِلَّاءِ، وَقَدْ تَرَكَ ذَلِكَ عَلَامَاتٍ عَلَى وَجْهِي.»

«لَمْ تَكُنْ قَدَمَا أُمِّنَا كَبِيرَتَيْنِ كَقَدَمَيْكَ.»

«يَا لَلْغَبَاءِ! هَذَا يَحْدُثُ مِنَ السَّيْرِ لِمَسَافَاتٍ طَوِيلَةٍ. هَيَّا افْتَحَا الْبَابَ بِسُرْعَةٍ!»

قَالَتِ الْفَتَاتَانِ إِحْدَاهُمَا لِلْأُخْرَى: «لَا بُدَّ أَنَّ هَذِهِ هِيَ أُمُّنَا.» وَقَامَتَا بِفَتْحِ الْبَابِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا دَخَلَ الْفَهْدُ أَدْرَكَتَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أُمَّهُمَا إِطْلَاقًا.

فِي الْمَسَاءِ، عِنْدَمَا كَانَتِ الْفَتَاتَانِ فِي فِرَاشِهِمَا، كَانَ الْفَهْدُ لَا يَزَالُ يَلْتَهِمُ الْعِظَامَ الَّتِي جَلَبَهَا مَعَهُ.

فَسَأَلَتِ الْفَتَاتَانِ: «مَاذَا تَأْكُلِينَ يَا أُمِّي؟»

كَانَتِ الْإِجَابَةُ: «آكُلُ بَنْجَرًا.»

فَقَالَتِ الْفَتَاتَانِ: «يَا أُمِّي، أَعْطِينَا بَعْضًا مِنَ الْبَنْجَرِ نَحْنُ أَيْضًا! نَحْنُ جَائِعَتَانِ جِدًّا!»

وَكَانَتِ الْإِجَابَةُ: «لَا، لَنْ أُعْطِيَكُمَا أَيَّ شَيْءٍ. وَالْآنَ اصْمُتَا وَاخْلُدَا لِلنَّوْمِ.»

وَلَكِنِ الْفَتَاتَانِ اسْتَمَرَّتَا فِي التَّوَسُّلِ حَتَّى أَعْطَتْهُمَا الْأُمُّ الْمُزَيَّفَةُ أُصْبُعًا صَغِيرًا. وَعِنْدَهَا رَأَتِ الْفَتَاتَانِ أَنَّهُ أُصْبُعُ أَخِيهِمَا الصَّغِيرِ قَالَتَ إِحْدَاهُمَا لِلْأُخْرَى: «يَجِبُ أَنْ نُسَارِعَ بِالْهَرَبِ وَإِلَّا سَيَلْتَهِمُنَا نَحْنُ أَيْضًا.» وَرَكَضَتِ الْفَتَاتَانِ خَارِجَ الْمَنْزِلِ وَتَسَلَّقَتَا شَجَرَةً فِي الْبَاحَةِ وَنَادَتَا الْأُمَّ الْمُزَيَّفَةَ: «تَعَالَيْ إِلَى الْخَارِجِ. يُمْكِنُنَا رُؤْيَةُ ابْنِ جَارِنَا يُقِيمُ حَفْلَ زِفَافِهِ!» وَلَكِنَّ الْوَقْتَ كَانَ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ.

فَخَرَجَتِ الْأُمُّ، وَعِنْدَمَا رَأَتْ أَنَّهُمَا تَسَلَّقَتَا شَجَرَةً صَاحَتْ فِي غَضَبٍ: «مَا هَذَا؟ أَنَا لَنْ أَتَمَكَّنَ مِنَ التَّسَلُّقِ!»

قَالَتِ الْفَتَاتَانِ: «اجْلِسِي فِي سَلَّةٍ وَاقْذِفِي لَنَا الْحَبْلَ وَنَحْنُ سَنَرْفَعُكِ لِلْأَعْلَى.»

فَعَلَتِ الْأُمُّ كَمَا قَالَتَا لَهَا، وَلَكِنْ عِنْدَمَا وَصَلَتِ السَّلَّةُ إِلَى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ، بَدَأَتِ الْفَتَاتَانِ أَرْجَحَةَ السَّلَّةِ وَضَرْبَهَا بِالشَّجَرَةِ، فَكَانَ عَلَى الْأُمِّ الْمُزَيَّفَةِ الْعَوْدَةُ إِلَى شَخْصِيَّةِ الْفَهْدِ مُجَدَّدًا حَتَّى لَا تَقَعَ. وَقَدْ قَفَزَ الْفَهْدُ مِنَ السَّلَّةِ وَهَرَبَ بَعِيدًا.

وَرُوَيْدًا رُوَيْدًا ظَهَرَ ضَوْءُ النَّهَارِ وَنَزَلَتِ الْفَتَاتَانِ وَجَلَسَتَا أَمَامَ الْبَابِ وَبَكَتَا وَالِدَتَهُمَا. مَرَّ بِهِمَا بَائِعُ الْإِبَرِ وَسَأَلَهُمَا لِمَاذَا تَبْكِيَانِ.

قَالَتِ الْفَتَاتَانِ: «الْتَهَمَ فَهْدٌ أُمَّنَا وَأَخَانَا. لَقَدْ ذَهَبَ الْآنَ وَلَكِنْ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ سَيَعُودُ وَيَلْتَهِمُنَا نَحْنُ أَيْضًا.»

أَعْطَاهُمَا بَائِعُ الْإِبَرِ إِبْرَتَيْنِ وَقَالَ: «اغْرِسَا هَذِهِ الْإِبَرَ فِي وِسَادَةِ الْكُرْسِيِّ بِحَيْثُ يَكُونُ السِّنُّ إِلَى أَعْلَى.» شَكَرَتْهُ الْفَتَاتَانِ وَاسْتَمَرَّتَا فِي الْبُكَاءِ.

بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الْوَقْتِ مَرَّ بِهِمَا صَائِدُ الْعَقَارِبِ وَسَأَلَهُمَا لِمَاذَا تَبْكِيَانِ، فَقَالَتِ الْفَتَاتَانِ: «الْتَهَمَ فَهْدٌ أُمَّنَا وَأَخَانَا. لَقَدْ ذَهَبَ الْآنَ وَلَكِنْ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ سَيَعُودُ وَيَلْتَهِمُنَا نَحْنُ أَيْضًا.»

أَعْطَاهُمَا الرَّجُلُ عَقْرَبًا وَقَالَ: «ضَعَا هَذَا خَلْفَ الْمَوْقِدِ فِي الْمَطْبَخِ.» شَكَرَتْهُ الْفَتَاتَانِ وَاسْتَمَرَّتَا فِي الْبُكَاءِ.

ثُمَّ مَرَّ بَائِعُ الْبَيْضِ وَسَأَلَهُمَا لِمَاذَا تَبْكِيَانِ، قَالَتِ الْفَتَاتَانِ: «الْتَهَمَ فَهْدٌ أُمَّنَا وَأَخَانَا. لَقَدْ ذَهَبَ الْآنَ وَلَكِنْ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ سَيَعُودُ وَيَلْتَهِمُنَا نَحْنُ أَيْضًا.»

لِذَا أَعْطَاهُمَا بَيْضَةً وَقَالَ: «ضَعَاهَا تَحْتَ الرَّمَادِ فِي الْمَوْقِدِ.» شَكَرَتْهُ الْفَتَاتَانِ وَاسْتَمَرَّتَا فِي الْبُكَاءِ.

ثُمَّ مَرَّ تَاجِرُ السَّلَاحِفِ وَأَخْبَرَتْهُ الْفَتَاتَانِ بِقِصَّتِهِمَا. أَعْطَاهُمَا سُلَحْفَاةً وَقَالَ: «ضَعَاهَا فِي بِرْمِيلِ الْمِيَاهِ فِي السَّاحَةِ.» ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ يَبِيعُ هِرَاوَاتٍ خَشَبِيَّةً سَأَلَهُمَا لِمَاذَا تَبْكِيَانِ، وَأَخْبَرَتْهُ الْفَتَاتَانِ بِقِصَّتِهِمَا. أَعْطَاهُمَا الرَّجُلُ هِرَاوَتَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ وَقَالَ: «عَلِّقَاهُمَا فَوْقَ الْبَابِ مِنَ الْخَارِجِ.» شَكَرَتْهُ الْفَتَاتَانِ وَقَامَتَا بِكُلِّ مَا قَالَ الرِّجَالُ لَهُمَا.

فِي الْمَسَاءِ عَادَ الْفَهْدُ إِلَى الْمَنْزِلِ وَجَلَسَ عَلَى الْكُرْسِيِّ فَوَخَزَتْهُ الْإِبَرُ الَّتِي فِي الْوِسَادَةِ، فَرَكَضَ إِلَى الْمَطْبَخِ لِيُشْعِلَ النَّارَ وَيَرَى مَا الَّذِي وَخَزَهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ؛ فَلَدَغَهُ الْعَقْرَبُ. وَأَخِيرًا عِنْدَمَا اشْتَعَلَتِ النَّارُ انْفَجَرَتِ الْبَيْضَةُ وَدَفَقَتِ السَّائِلَ فِي عَيْنِهِ وَأَعْمَتْهُ، فَرَكَضَ إِلَى السَّاحَةِ وَغَطَّسَ يَدَهُ فِي بِرْمِيلِ الْمِيَاهِ لِيُبَرِّدَهَا، وَلَكِنَّ السُّلَحْفَاةَ عَضَّتْهُ. وَمِنْ شِدَّةِ أَلَمِهِ رَكَضَ خَارِجَ الْبَابِ وَإِلَى الشَّارِعِ، وَسَقَطَتِ الْهِرَاوَتَانِ الْخَشَبِيَّتَانِ عَلَى رَأْسِهِ، وَكَانَتْ تِلْكَ هِيَ نِهَايَتَهُ.

الْفَيَضَانُ الْعَظِيمُ

كَانَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَرْمَلَةٌ لَدَيْهَا طِفْلٌ، وَكَانَ الطِّفْلُ صَبِيًّا طَيِّبَ الْقَلْبِ وَمَحْبُوبًا مِنَ الْجَمِيعِ. وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ قَالَ الصَّبِيُّ لِأُمِّهِ: «كُلُّ الْأَطْفَالِ الْآخَرِينَ لَدَيْهِمْ جَدَّةٌ وَأَنَا لَا، وَهَذَا الْأَمْرُ يَحْزُنُنِي كَثِيرًا.»

قَالَتْ أُمُّهُ: «سَنَبْحَثُ لَكَ عَنْ جَدَّةٍ.» وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، جَاءَتْ مُتَسَوِّلَةٌ عَجُوزٌ إِلَى الْبَيْتِ، وَكَانَتْ مُسِنَّةً وَوَاهِنَةً جِدًّا، وَعِنْدَمَا رَآهَا الصَّبِيُّ قَالَ لَهَا: «سَتَكُونِينَ أَنْتِ جَدَّتِي!» وَذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ وَقَالَ: «هُنَاكَ امْرَأَةٌ مُتَسَوِّلَةٌ فِي الْخَارِجِ وَأَنَا أُرِيدُهَا أَنْ تَكُونَ جَدَّتِي!» كَانَتْ أُمُّهُ مُوَافِقَةً، وَنَادَتِ السَّيِّدَةَ إِلَى دَاخِلِ الْمَنْزِلِ بِالرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهَا مُتَّسِخَةً جِدًّا. قَالَ الصَّبِيُّ لِأُمِّهِ: «تَعَالَيْ لِنَقُومَ بِغَسْلِ جَدَّتِي!» وَقَامَا بِتَنْظِيفِهَا. وَلَكِنَّ السَّيِّدَةَ كَانَ فِي شَعْرِهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّبَاتَاتِ الشَّائِكَةِ، وَقَامَا هُمَا بِنَزْعِهَا وَوَضَعَاهَا فِي بَرْطَمَانٍ. وَقَدِ امْتَلَأَ كُلُّهُ بِهَا، ثُمَّ قَالَتِ الْجَدَّةُ: «لَا تَتَخَلَّصَا مِنْهَا، وَلَكِنِ ادْفِنَاهَا فِي الْحَدِيقَةِ وَلَا يَجِبُ أَنْ تُخْرِجَاهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْفَيَضَانُ الْعَظِيمُ.»

سَأَلَ الصَّبِيُّ: «مَتَى سَيَأْتِي الْفَيَضَانُ الْعَظِيمُ؟»

قَالَتِ الْجَدَّةُ: «عِنْدَمَا تَتَحَوَّلُ عُيُونُ الْأَسَدَيْنِ الْحَجَرِيَّيْنِ أَمَامَ السِّجْنِ إِلَى اللَّوْنِ الْأَحْمَرِ، عِنْدَهَا سَيَأْتِي الْفَيَضَانُ الْعَظِيمُ.»

وَهَكَذَا ذَهَبَ الصَّبِيُّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْأَسَدَيْنِ، وَلَكِنَّ أَعْيُنَهُمَا لَمْ تَكُنْ حَمْرَاءَ بَعْدُ. وَقَالَتْ لَهُ الْجَدَّةُ أَيْضًا: «اصْنَعْ سَفِينَةً صَغِيرَةً مِنَ الْخَشَبِ وَاحْتَفِظْ بِهَا فِي صُنْدُوقٍ صَغِيرٍ.» وَقَامَ

الصَّبِيُّ بِذَلِكَ. كَانَ الصَّبِيُّ يَرْكُضُ إِلَى السِّجْنِ كُلَّ يَوْمٍ وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَسَدَيْنِ، وَكَانَ الْأَمْرُ يُثِيرُ دَهْشَةَ النَّاسِ فِي الشَّارِعِ.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، بَيْنَمَا كَانَ يَمُرُّ أَمَامَ دُكَّانِ بَائِعِ الدَّجَاجِ، سَأَلَهُ الْبَائِعُ لِمَاذَا يَرْكُضُ إِلَى الْأَسَدَيْنِ دَائِمًا. قَالَ الصَّبِيُّ: «عِنْدَمَا تَتَحَوَّلُ أَعْيُنُ الْأُسُودِ إِلَى اللَّوْنِ الْأَحْمَرِ سَيَأْتِي الْفَيَضَانُ الْعَظِيمُ.» وَلَكِنَّ بَائِعَ الدَّجَاجِ ضَحِكَ. وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِي، بَاكِرًا جِدًّا، أَخَذَ الْبَائِعُ بَعْضًا مِنْ دِمَاءَ الدَّجَاجِ وَوَضَعَهَا عَلَى أَعْيُنِ الْأَسَدَيْنِ. عِنْدَمَا رَأَى الصَّبِيُّ أَنَّ أَعْيُنَ الْأَسَدَيْنِ صَارَتْ حَمْرَاءَ، رَكَضَ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَنْزِلِ وَأَخْبَرَ أُمَّهُ وَجَدَّتَهُ، ثُمَّ قَالَتْ جَدَّتُهُ: «قُمْ بِإِخْرَاجِ الْبَرْطَمَانِ بِسُرْعَةٍ وَأَخْرِجِ السَّفِينَةَ مِنْ صُنْدُوقِهَا.» وَعِنْدَمَا أَخْرَجُوا الْبَرْطَمَانَ كَانَ مُمْتَلِئًا بِأَنْقَى اللَّآلِئِ، وَأَخَذَتِ السَّفِينَةُ تَكْبُرُ وَتَكْبُرُ لِتُصْبِحَ فِي حَجْمِهَا الطَّبِيعِيِّ، ثُمَّ قَالَتِ الْجَدَّةُ: «خُذِ الْبَرْطَمَانَ مَعَكَ وَاصْعَدْ إِلَى السَّفِينَةِ، وَعِنْدَمَا يَأْتِي الْفَيَضَانُ الْعَظِيمُ عَلَيْكَ إِنْقَاذَ كُلِّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تُصَادِفُهَا بِالسَّفِينَةِ؛ وَلَكِنَّ الْبَشَرَ، بِرُءُوسِهِمُ السَّوْدَاءِ، لَا تُنْقِذْهُمْ.» وَهَكَذَا صَعِدُوا إِلَى السَّفِينَةِ وَفَجْأَةً اخْتَفَتِ الْجَدَّةُ.

وَالْآنَ بَدَأَتِ السَّمَاءُ تُمْطِرُ، وَأَخَذَ الْمَطَرُ يَتَسَاقَطُ بِغَزَارَةٍ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ مِنَ السَّمَاءِ. وَأَخِيرًا لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ أَيُّ قَطَرَاتٍ تَسْقُطُ، وَلَكِنْ هُنَاكَ صَفْحَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْمَاءِ، وَقَدْ غَمَرَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

ثُمَّ انْجَرَفَ كَلْبٌ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ وَقَامُوا بِإِنْقَاذِهِ. بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ، جَاءَ فَأْرَانِ وَأَوْلَادُهُمَا وَأَحْدَثُوا صَرِيرًا فِي خَوْفٍ، وَتَمَّ إِنْقَاذُهُمْ أَيْضًا. كَانَتِ الْمِيَاهُ تَعْلُو حَتَّى أَسْطُحِ الْمَنَازِلِ، وَعَلَى أَحَدِ الْأَسْطُحِ كَانَتْ تَقِفُ قِطَّةٌ تَقَوَّسَ ظَهْرُهَا وَتَمُوءُ بِشَكْلٍ مُثِيرٍ لِلشَّفَقَةِ. أَخَذَ الصَّبِيُّ وَأُمُّهُ الْقِطَّةَ إِلَى السَّفِينَةِ أَيْضًا، وَلَكِنَّ الْفَيَضَانَ أَخَذَ يَعْلُو حَتَّى وَصَلَ إِلَى قِمَمِ الْأَشْجَارِ. وَعَلَى إِحْدَى الْأَشْجَارِ، كَانَ هُنَاكَ غُرَابٌ يُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْهِ وَيَنْعِقُ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَتَمَّ إِنْقَاذُهُ هُوَ أَيْضًا. وَأَخِيرًا، جَاءَ سِرْبٌ مِنَ النَّحْلِ يَطِيرُ فِي اتِّجَاهِهِمْ. كَانَتِ الْكَائِنَاتُ الصَّغِيرَةُ مُبْتَلَّةً لِلْغَايَةِ وَبِالْكَادِ تَسْتَطِيعُ الطَّيَرَانَ. وَبِالطَّبْعِ، أَخَذَهَا الصَّبِيُّ وَأُمُّهُ إِلَى السَّفِينَةِ. فَجْأَةً ظَهَرَ رَجُلٌ ذُو شَعْرٍ أَسْوَدَ يَسْبَحُ بَيْنَ الْأَمْوَاجِ. قَالَ الصَّبِيُّ: «أُمِّي، لِنُنْقِذْهُ هُوَ أَيْضًا!» وَلَكِنَّ الْأُمَّ لَمْ تُرِدْ ذَلِكَ: «أَلَمْ تُخْبِرْنَا الْجَدَّةُ بِأَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا نُنْقِذَ أَيًّا مِنَ الْبَشَرِ ذَوِي الرُّءُوسِ السَّوْدَاءِ؟» وَلَكِنَّ الصَّبِيَّ أَجَابَ: «سَنُنْقِذُهُ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ ذَلِكَ. أَشْعُرُ بِالْأَسَفِ تُجَاهَهُ وَلَا أَسْتَطِيعُ تَحَمُّلَ رُؤْيَتِهِ وَهُوَ يَنْجَرِفُ مَعَ الْمَاءِ.» وَهَكَذَا أَنْقَذُوا الرَّجُلَ أَيْضًا.

بَدَأَتِ الْمِيَاهُ تَنْحَسِرُ بِالتَّدْرِيجِ. نَزَلَ الْجَمِيعُ مِنَ السَّفِينَةِ وَفَارَقُوا الرَّجُلَ وَالْحَيَوَانَاتِ، وَأَخَذَتِ السَّفِينَةُ تَصْغُرُ مُجَدَّدًا وَقَامُوا بِوَضْعِهَا فِي صُنْدُوقِهَا.

وَلَكِنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَطْمَعُ فِي اللَّآلِئِ بِشِدَّةٍ. ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى الْقَاضِي وَتَقَدَّمَ بِالشَّكْوَى ضِدَّ الصَّبِيِّ وَأُمِّهِ وَتَمَّ إِيدَاعُهُمَا السِّجْنَ، ثُمَّ جَاءَتِ الْفِئْرَانُ وَحَفَرَتْ فَجْوَةً فِي حَائِطِ السِّجْنِ، وَجَاءَ الْكَلْبُ عَبْرَ الْفَجْوَةِ وَأَحْضَرَ لَهُمَا اللَّحْمَ، وَأَحْضَرَتْ لَهُمَا الْقِطَّةُ خُبْزًا؛ وَبِذَلِكَ لَمْ يَشْعُرَا بِالْجُوعِ فِي السِّجْنِ. وَأَمَّا الْغُرَابُ فَطَارَ بَعِيدًا وَعَادَ بِخِطَابٍ لِلْقَاضِي. كَانَ الْخِطَابُ قَدْ كَتَبَهُ إِلَهٌ، وَكَانَ يَقُولُ: «تَجَوَّلْتُ فِي عَالَمِ الرِّجَالِ مُتَنَكِّرًا كَامْرَأَةٍ مُتَسَوِّلَةٍ، وَقَدْ آوَانِي هَذَا الصَّبِيُّ وَأُمُّهُ. عَامَلَنِي الصَّبِيُّ كَجَدَّتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ وَلَمْ يَشْمَئِزَّ مِنْ تَنْظِيفِي عِنْدَمَا كُنْتُ مُتَّسِخَةً؛ وَلِذَلِكَ قُمْتُ بِإِنْقَاذِهِمَا مِنَ الْفَيَضَانِ الْعَظِيمِ الَّذِي دُمِّرَتْ بِهِ هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْآثِمَةُ الَّتِي كَانَا يَعِيشَانِ فِيهَا. قُمْ أَيُّهَا الْقَاضِي بِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِمَا وَإِلَّا سَتَحُلُّ عَلَيْكَ الْمَصَائِبُ!»

قَامَ الْقَاضِي بِاسْتِدْعَائِهِمَا وَسَأَلَهُمَا كَيْفَ شَقَّا طَرِيقَهُمَا عَبْرَ الْفَيَضَانِ، وَأَخْبَرَهُ الصَّبِيُّ وَأُمُّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ طَابَقَ مَا قَالَاهُ مَا جَاءَ فِي خِطَابِ الْإِلَهِ؛ وَلِذَلِكَ قَامَ الْقَاضِي بِمُعَاقَبَةِ الرَّجُلِ الَّذِي اتَّهَمَهُمَا، وَأَطْلَقَ سَرَاحَهُمَا.

عِنْدَمَا كَبِرَ الصَّبِيُّ جَاءَ إِلَى مَدِينَةٍ مَلِيئَةٍ بِالنَّاسِ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْأَمِيرَةَ تَنْوِي اخْتِيَارَ زَوْجٍ، وَلَكِنْ لِكَيْ تَجِدَ الرَّجُلَ الْمُنَاسِبَ قَامَتْ بِارْتِدَاءِ حِجَابٍ وَجَلَسَتْ فِي مِحَفَّةٍ، وَأَمَرَتْ بِأَنْ تُؤْخَذَ الْمِحَفَّةُ وَمَعَهَا أُخْرَيَاتٌ إِلَى السُّوقِ. وَبِدَاخِلِ كُلِّ مِحَفَّةٍ كَانَتْ تَجْلِسُ امْرَأَةٌ مُحَجَّبَةٌ، وَكَانَتِ الْأَمِيرَةُ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ. وَالرَّجُلُ الَّذِي سَيَخْتَارُ الْمِحَفَّةَ الصَّحِيحَةَ سَيَتَزَوَّجُ الْأَمِيرَةَ. وَهَكَذَا ذَهَبَ الشَّابُّ هُنَاكَ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى السُّوقِ، رَأَى سِرْبَ النَّحْلِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ الْفَيَضَانِ الْعَظِيمِ يَحُومُ حَوْلَ مِحَفَّةٍ بِعَيْنِهَا، فَقَامَ الشَّابُّ بِالتَّوَجُّهِ نَحْوَهَا، وَبِالْفِعْلِ كَانَتِ الْأَمِيرَةُ تَجْلِسُ بِدَاخِلِهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ أُقِيمَ حَفْلُ زِفَافِهِمَا وَعَاشَا فِي سَعَادَةٍ إِلَى الْأَبَدِ.

لِماذَا الْكَلْبُ وَالْقِطُّ أَعْدَاءٌ؟

كَانَ فِيمَا مَضَى رَجُلٌ وَزَوْجَتُهُ، وَكَانَ لَدَيْهِمَا خَاتَمٌ مِنَ الذَّهَبِ. كَانَ هَذَا خَاتَمَ حَظٍّ، وَكُلُّ مَنْ يَمْتَلِكُهُ يُصْبِحْ لَدَيْهِ مَا يَكْفِي لِيَعِيشَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا بِذَلِكَ وَقَامُوا بِبَيْعِ الْخَاتَمِ بِثَمَنٍ زَهِيدٍ. وَبِمُجَرَّدِ ذَهَابِ الْخَاتَمِ أَخَذَ فَقْرُهُمْ يَزْدَادُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَفِي النِّهَايَةِ أَصْبَحُوا لَا يَعْرِفُونَ كَيْفَ سَيَحْصُلُونَ عَلَى وَجْبَتِهِمُ الْقَادِمَةِ. كَانَ لَدَيْهِمْ كَلْبٌ وَقِطَّةٌ، وَكَانَ الِاثْنَانِ يَشْعُرَانِ بِالْجُوعِ أَيْضًا. قَامَ الْحَيَوَانَانِ بِالتَّشَاوُرِ مَعًا حَوْلَ كَيْفِيَّةِ إِعَادَةِ الْحَظِّ لِمَالِكَيْهِمَا. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ وَرَدَتْ لِلْكَلْبِ فِكْرَةٌ.

قَالَ الْكَلْبُ لِلْقِطَّةِ: «يَجِبُ أَنْ يَسْتَعِيدَا الْخَاتَمَ مُجَدَّدًا.»

أَجَابَتِ الْقِطَّةُ: «لَقَدْ تَمَّ إِيدَاعُ الْخَاتَمِ بِحِرْصٍ فِي صُنْدُوقٍ حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ الْحُصُولَ عَلَيْهِ.»

قَالَ الْكَلْبُ: «يَجِبُ أَنْ تَصْطَادِي فَأْرًا، وَعَلَى الْفَأْرِ نَخْرُ ثُقْبٍ فِي الصُّنْدُوقِ وَإِخْرَاجُ الْخَاتَمِ، وَإِذَا لَمْ يُرِدْ فِعْلَ ذَلِكَ، فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ سَتَعَضِّينَهُ حَتَّى الْمَوْتِ، وَسَتَرَيْنَ أَنَّهُ سَيَقُومُ بِالْأَمْرِ.»

أَعْجَبَتْ هَذِهِ الْخُطَّةُ الْقِطَّةَ وَقَامَتْ بِاصْطِيَادِ فَأْرٍ، ثُمَّ ذَهَبَتْ إِلَى الْبَيْتِ حَيْثُ يُوجَدُ الصُّنْدُوقُ وَتَبِعَهَا الْكَلْبُ. وَصَلَ الثَّلَاثَةُ إِلَى نَهْرٍ عَرِيضٍ، وَحَيْثُ إِنَّ الْقِطَّةَ لَا تَسْتَطِيعُ السِّبَاحَةَ، أَخَذَهَا الْكَلْبُ عَلَى ظَهْرِهِ وَسَبَحَ عَبْرَ النَّهْرِ، ثُمَّ حَمَلَتِ الْقِطَّةُ الْفَأْرَ إِلَى الْمَنْزِلِ حَيْثُ يُوجَدُ الصُّنْدُوقُ. قَامَ الْفَأْرُ بِنَخْرِ ثُقْبٍ فِي الصُّنْدُوقِ وَأَخْرَجَ الْخَاتَمَ. وَضَعَتِ الْقِطَّةُ الْخَاتَمَ فِي فَمِهَا وَعَادَتْ إِلَى النَّهْرِ حَيْثُ كَانَ الْكَلْبُ يَنْتَظِرُهَا وَسَبَحَ مَعَهَا، ثُمَّ انْطَلَقَ الِاثْنَانِ نَحْوَ الْمَنْزِلِ مِنْ أَجْلِ إِيصَالِ الْخَاتَمِ إِلَى سَيِّدِهِمَا وَسَيِّدَتِهِمَا. وَلَكِنَّ الْكَلْبَ كَانَ يَسْتَطِيعُ الرَّكْضَ

عَلَى الْأَرْضِ فَقَطْ، وَعِنْدَمَا كَانَ يُوجَدُ بَيْتٌ فِي طَرِيقِهِ كَانَ يَدُورُ حَوْلَهُ. أَمَّا الْقِطَّةُ فَقَدْ تَسَلَّقَتْ أَسْطُحَ الْمَنَازِلِ بِسُرْعَةٍ، وَهَكَذَا وَصَلَتْ إِلَى الْمَنْزِلِ قَبْلَ الْكَلْبِ وَجَلَبَتِ الْخَاتَمَ إِلَى سَيِّدِهَا.

قَالَ السَّيِّدُ لِزَوْجَتِهِ: «كَمْ هِيَ مَخْلُوقٌ جَيِّدٌ هَذِهِ الْقِطَّةُ! سَنُعْطِيهَا دَائِمًا مَا يَكْفِي مِنَ الطَّعَامِ، وَسَنَعْتَنِي بِهَا كَمَا لَوْ أَنَّهَا طِفْلَتُنَا!»

وَلَكِنْ عِنْدَمَا وَصَلَ الْكَلْبُ إِلَى الْمَنْزِلِ قَامَا بِضَرْبِهِ وَتَعْنِيفِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يُسَاعِدْ فِي اسْتِعَادَةِ الْخَاتَمِ مُجَدَّدًا، وَجَلَسَتِ الْقِطَّةُ بِجَانِبِ الْمِدْفَأَةِ وَخَرْخَرَتْ وَلَمْ تَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ؛ فَأَصْبَحَ الْكَلْبُ غَاضِبًا مِنَ الْقِطَّةِ لِأَنَّهَا سَرَقَتْ مُكَافَأَتَهُ، وَعِنْدَمَا رَآهَا طَارَدَهَا وَحَاوَلَ الْإِمْسَاكَ بِهَا.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَصْبَحَتِ الْقِطَّةُ وَالْكَلْبُ أَعْدَاءً.

الرَّاعِي وَفَتَاةُ الْغَزْلِ

كَانَ الرَّاعِي الصَّغِيرُ ابْنَ عَائِلَةٍ فَقِيرَةٍ. عِنْدَمَا كَانَ فِي الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ عَمِلَ لَدَى مُزَارِعٍ لِيَرْعَى بَقَرَتَهُ. بَعْدَ بِضْعِ سَنَوَاتٍ أَصْبَحَتِ الْبَقَرَةُ سَمِينَةً وَكَبِيرَةً، وَكَانَ شَعْرُهَا يَلْمَعُ كَالذَّهَبِ الْأَصْفَرِ. لَا بُدَّ وَأَنَّهَا بَقَرَةٌ مِنْ عِنْدِ الْآلِهَةِ.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، عِنْدَمَا أَخْرَجَهَا الرَّاعِي الصَّغِيرُ إِلَى مَرْعًى فِي الْجِبَالِ بَدَأَتْ تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ فَجْأَةً بِلُغَةِ الْبَشَرِ وَقَالَتِ: «الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمُ السَّابِعُ. الْآنَ لَدَى حَاكِمِ الْجَنَّةِ الْأَبْيَضِ تِسْعُ بَنَاتٍ يَغْتَسِلْنَ الْيَوْمَ فِي بَحْرِ الْجَنَّةِ. الِابْنَةُ السَّابِعَةُ جَمِيلَةٌ وَذَكِيَّةٌ فَوْقَ كُلِّ الْمَقَايِيسِ. إِنَّهَا تَغْزِلُ حَرِيرَ السَّحَابِ مِنْ أَجْلِ مَلِكِ وَمَلِكَةِ الْجَنَّةِ، وَتُشْرِفُ عَلَى الْغَزْلِ الَّذِي تَقُومُ بِهِ الْفَتَيَاتُ عَلَى الْأَرْضِ؛ وَبِسَبَبِ ذَلِكَ يُطْلَقُ عَلَيْهَا فَتَاةُ الْغَزْلِ. وَإِذَا ذَهَبْتَ وَأَخَذْتَ مَلَابِسَهَا بَيْنَمَا تَغْتَسِلُ، فَرُبَّمَا تُصْبِحُ زَوْجَهَا وَتَنَالُ الْخُلُودَ.»

قَالَ الرَّاعِي: «وَلَكِنَّهَا فِي الْجَنَّةِ! وَكَيْفَ يُمْكِنُنِي الْوُصُولُ إِلَى هُنَاكَ؟!»

أَجَابَتِ الْبَقَرَةُ الصَّفْرَاءُ: «سَأَحْمِلُكَ إِلَى هُنَاكَ.»

وَهَكَذَا تَسَلَّقَ الرَّاعِي ظَهْرَ الْبَقَرَةِ. وَفِي لَحْظَةٍ بَدَأَتْ تَتَدَفَّقُ مِنْ حَوَافِرِهَا سُحُبٌ وَارْتَفَعَتْ فِي الْهَوَاءِ. كَانَ هُنَاكَ صَفِيرٌ كَصَوْتِ الرِّيَاحِ بِجَانِبِ أُذُنَيْهِ، وَطَارَ الِاثْنَانِ مَعَ الرِّيَاحِ كَالْبَرْقِ، وَفَجْأَةً تَوَقَّفَتِ الْبَقَرَةُ.

قَالَتِ: «الْآنَ قَدْ وَصَلْنَا.»

رَأَى الرَّاعِي حَوْلَهُ غَابَاتٍ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَخْضَرِ وَأَشْجَارٍ مِنَ الْجَادِ. كَانَ الْعُشْبُ مِنَ الْيَشْبِ وَالزُّهُورُ مِنَ الْمَرْجَانِ. وَفِي وَسَطِ كُلِّ تِلْكَ الرَّوْعَةِ كَانَ يَقَعُ بَحْرٌ عَظِيمٌ يَمْتَدُّ حَوَالَيْ خَمْسِمِائَةِ فَدَّانٍ. كَانَتْ أَمْوَاجُهُ الْخَضْرَاءُ تَعْلُو وَتَهْبِطُ، وَالْأَسْمَاكُ ذَاتُ الْقُشُورِ الذَّهَبِيَّةِ تَسْبَحُ

بَيْنَهَا. إِضَافَةً إِلَى عَدَدٍ لَا يُحْصَى مِنَ الطُّيُورِ السِّحْرِيَّةِ الَّتِي تَطِيرُ فَوْقَهُ وَتُغَنِّي. تَمَكَّنَ الرَّاعِي مِنْ رُؤْيَةِ الْفَتَيَاتِ التِّسْعِ فِي الْمَاءِ بِالرَّغْمِ مِنَ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ. كُنَّ جَمِيعًا قَدْ أَلْقَيْنَ مَلَابِسَهُنَّ عَلَى الشَّاطِئِ.

قَالَتِ الْبَقَرَةُ: «خُذِ الْمَلَابِسَ الْحَمْرَاءَ بِسُرْعَةٍ وَاخْتَبِئْ بِهَا فِي الْغَابَةِ، وَعِنْدَمَا تَطْلُبُهَا مِنْكَ بِلُطْفٍ لَا تُعْطِهَا إِيَّاهَا قَبْلَ أَنْ تَعِدَكَ بِأَنْ تُصْبِحَ زَوْجَتَكَ.»

نَزَلَ الرَّاعِي بِسُرْعَةٍ عَنْ ظَهْرِ الْبَقَرَةِ وَأَخَذَ الْمَلَابِسَ الْحَمْرَاءَ وَهَرَبَ بَعِيدًا، وَفِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ رَأَتْهُ الْفَتَيَاتُ التِّسْعُ وَشَعَرْنَ بِالْخَوْفِ.

صَاحَتِ الْفَتَيَاتُ: «أَيُّهَا الشَّابُّ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ وَكَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى أَخْذِ مَلَابِسِنَا؟ اتْرُكْهَا بِسُرْعَةٍ!»

وَلَكِنَّ الرَّاعِيَ لَمْ يَسْمَحْ لِمَا قَالُوهُ بِأَنْ يُزْعِجَهُ وَانْحَنَى أَرْضًا خَلْفَ إِحْدَى أَشْجَارِ الْيَشْبِ، ثُمَّ خَرَجَتْ ثَمَانٍ مِنَ الْفَتَيَاتِ مِنَ الْمَاءِ بِسُرْعَةٍ وَأَخَذْنَ مَلَابِسَهُنَّ.

قُلْنَ: «أُخْتُنَا السَّابِعَةُ الَّتِي قَدَّرَتْهَا السَّمَاءُ أَنْ تَكُونَ لَكَ قَدْ جَاءَتْ. سَنَتْرُكُهَا وَحْدَهَا مَعَكَ.»

كَانَتْ فَتَاةُ الْغَزْلِ لَا تَزَالُ فِي الْمَاءِ.

وَلَكِنَّ الرَّاعِيَ وَقَفَ أَمَامَهَا وَضَحِكَ.

قَالَ: «إِذَا وَعَدْتِنِي بِأَنْ تُصْبِحِي زَوْجَتِي فَسَأُعْطِيكِ مَلَابِسَكِ.»

غَيْرَ أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ يُنَاسِبُ فَتَاةَ الْغَزْلِ.

قَالَتْ: «أَنَا ابْنَةُ حَاكِمِ الْآلِهَةِ وَلَا يُمْكِنُنِي الزَّوَاجُ بِدُونِ أَمْرِهِ. أَعْطِنِي مَلَابِسِي بِسُرْعَةٍ، وَإِلَّا سَيُعَاقِبُكَ وَالِدِي.»

ثُمَّ قَالَتِ الْبَقَرَةُ الصَّفْرَاءُ: «أَنْتُمَا مُقَدَّرَانِ أَحَدُكُمَا لِلْآخَرِ، وَسَأَسْعَدُ بِتَرْتِيبِ زَوَاجِكُمَا، وَأَنَا مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّ وَالِدَكِ، حَاكِمَ الْآلِهَةِ، لَنْ يَعْتَرِضَ.»

أَجَابَتْ فَتَاةُ الْغَزْلِ: «أَنْتِ حَيَوَانٌ غَيْرُ عَاقِلٍ! كَيْفَ يُمْكِنُكِ تَرْتِيبُ زَوَاجِنَا؟»

قَالَتِ الْبَقَرَةُ: «هَلْ رَأَيْتِ شَجَرَةَ الصَّفْصَافِ الْقَدِيمَةَ هُنَاكَ عَلَى الشَّاطِئِ؟ جَرِّبِي فَقَطْ أَنْ تَسْأَلِيهَا. إِذَا تَحَدَّثَتْ شَجَرَةُ الصَّفْصَافِ، فَإِذَنِ السَّمَاءُ تُرِيدُ زَوَاجَكُمَا.»

وَسَأَلَتْ فَتَاةُ الْغَزْلِ شَجَرَةَ الصَّفْصَافِ.
أَجَابَتْ شَجَرَةُ الصَّفْصَافِ بِلُغَةِ الْبَشَرِ:

هَذَا هُوَ الْيَوْمُ السَّابِعُ، وَقَدَ حَانَ وَقْتُ اجْتِمَاعِ الرَّاعِي بِفَتَاةِ الْغَزْلِ.

وَارْتَضَتْ فَتَاةُ الْغَزْلِ الْحُكْمَ. وَضَعَ الرَّاعِي مَلَابِسَهَا عَلَى الْأَرْضِ وَمَضَى. ارْتَدَتِ الْفَتَاةُ مَلَابِسَهَا وَتَبِعَتْهُ؛ وَبِذَلِكَ أَصْبَحَا زَوْجًا وَزَوْجَةً.

وَلَكِنْ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ تَرَكَتْهُ.

قَالَتْ: «لَقَدْ أَمَرَنِي حَاكِمُ الْجَنَّةِ بِأَنْ أَعْتَنِيَ بِغَزْلِي. لَوْ أَخَّرْتُ الْأَمْرَ أَخْشَى أَنْ يُعَاقِبَنِي. وَلَكِنْ بِالرَّغْمِ مِنْ ضَرُورَةِ افْتِرَاقِنَا الْآنَ، فَسَنَلْتَقِي مُجَدَّدًا.»

عِنْدَمَا قَالَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ سَارَتْ مُبْتَعِدَةً. رَكَضَ الرَّاعِي خَلْفَهَا، وَلَكِنْ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنْهَا أَخَذَتْ إِبْرَةً كَبِيرَةً مِنْ شَعْرِهَا وَرَسَمَتْ بِهَا خَطًّا عَبْرَ السَّمَاءِ، وَتَحَوَّلَ هَذَا الْخَطُّ إِلَى نَهْرٍ فِضِّيٍّ؛ وَبِذَلِكَ وَقَفَا يُفَرِّقُهُمَا نَهْرٌ وَيَنْظُرَانِ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ يَلْتَقِيَانِ مَرَّةً كُلَّ عَامٍ فِي عَشِيَّةِ الْيَوْمِ السَّابِعِ. عِنْدَمَا يَحِينُ هَذَا الْوَقْتُ، كُلُّ الْغِرْبَانِ فِي أَرْضِ الْإِنْسَانِ تَأْتِي وَتُكَوِّنُ جِسْرًا تَعْبُرُ بِهِ فَتَاةُ الْغَزْلِ النَّهْرَ؛ وَلِذَا فِي ذَاكَ الْيَوْمِ لَنْ تَرَى غُرَابًا وَاحِدًا عَلَى الْأَشْجَارِ مُنْذُ الصَّبَاحِ وَحَتَّى الْمَسَاءِ. بِدُونِ شَكٍّ بِسَبَبِ مَا ذَكَرْتُ. وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، كَثِيرًا مَا تَتَسَاقَطُ أَمْطَارٌ خَفِيفَةٌ فِي لَيْلَةِ الْيَوْمِ السَّابِعِ، وَعِنْدَئِذٍ تَقُولُ النِّسَاءُ وَالْجَدَّاتُ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ: «هَذِهِ هِيَ الدُّمُوعُ الَّتِي يَذْرِفُهَا الرَّاعِي وَفَتَاةُ الْغَزْلِ عِنْدَ الْفِرَاقِ!» وَلِهَذَا السَّبَبِ، الْيَوْمُ السَّابِعُ هُوَ احْتِفَالُ الْمَطَرِ.

عِنْدَ غَرْبِ النَّهْرِ الْفِضِّيِّ تَقَعُ كَوْكَبَةُ نُجُومِ فَتَاةِ الْغَزْلِ، وَتَتَكَوَّنُ مِنْ ثَلَاثَةِ نُجُومٍ. وَأَمَامَهَا مُبَاشَرَةً تَقَعُ ثَلَاثَةُ نُجُومٍ أُخْرَى تُشَكِّلُ مُثَلَّثًا. يُقَالُ إِنَّهُ فِي مَرَّةٍ غَضِبَ الرَّاعِي لِأَنَّ فَتَاةَ الْغَزْلِ لَمْ تُرِدْ عُبُورَ النَّهْرِ، وَرَمَى عَلَيْهَا نِيرَهُ، وَالَّذِي سَقَطَ تَحْتَ أَقْدَامِهَا. عِنْدَ شَرْقِ النَّهْرِ الْفِضِّيِّ تَقَعُ كَوْكَبَةُ نُجُومِ الرَّاعِي، وَالَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْ سِتَّةِ نُجُومٍ، وَإِلَى جَانِبِ وَاحِدٍ مِنْهَا تُوجَدُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ النُّجُومِ الصَّغِيرَةِ تُشَكِّلُ كَوْكَبَةَ نُجُومٍ مُسْتَدَقَّةَ الطَّرَفَيْنِ وَعَرِيضَةً فِي الْمُنْتَصَفِ. يُقَالُ إِنَّ فَتَاةَ الْغَزْلِ رَمَتْ بِدَوْرِهَا مِغْزَلَهَا عَلَى الرَّاعِي، وَلَكِنَّهَا لَمْ تُصِبْهُ وَوَقَعَ الْمِغْزَلُ بِجَانِبِهِ.

مَلْحُوظَةٌ: قِصَّةُ «الرَّاعِي وَفَتَاةِ الْغَزْلِ» مَنْقُولَةٌ عَنْ مَصْدَرٍ شَفَوِيٍّ. الرَّاعِي هُوَ مَجْمُوعَةُ نُجُومٍ فِي كَوْكَبَةِ الْعُقَابِ، وَمَجْمُوعَةُ فَتَاةِ الْغَزْلِ فِي كَوْكَبَةِ الْقِيثَارَةِ. النَّهْرُ الْفِضِّيُّ الَّذِي يَفْصِلُهُمَا هُوَ دَرْبُ التَّبَّانَةِ. الْيَوْمُ السَّابِعُ مِنَ الشَّهْرِ السَّابِعِ هُوَ احْتِفَالُ جَمْعِ شَمْلِهِمَا. حَاكِمُ الْجَنَّةِ لَدَيْهِ تِسْعُ بَنَاتٍ فِي الْمُجْمَلِ، يَسْكُنَّ فِي السَّمَوَاتِ التِّسْعِ.

سَيِّدَةُ الْقَمَرِ

فِي أَيَّامِ حُكْمِ الْإِمْبَرَاطُورِ ياو، كَانَ يَعِيشُ أَمِيرٌ يُدْعَى هوو الْأَوَّلَ، وَكَانَ بَطَلًا عَظِيمًا وَرَامِيَ سِهَامٍ بَارِعًا. فِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ أَشْرَقَتْ عَشْرُ شُمُوسٍ مَعًا فِي السَّمَاءِ، وَكَانَ نُورُهُنَّ سَاطِعًا وَحَارِقًا حَتَّى إِنَّ النَّاسَ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا التَّحَمُّلَ؛ وَلِذَلِكَ أَمَرَ الْإِمْبَرَاطُورُ هوو الْأَوَّلَ بِأَنْ يُصِيبَهَا. وَقَامَ هوو بِإِصَابَةِ تِسْعٍ مِنْهَا فِي السَّمَاءِ. إِلَى جَانِبِ قَوْسِهِ، كَانَ هوو يَمْتَلِكُ حِصَانًا يَجْرِي بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ حَتَّى إِنَّ الرِّيَاحَ لَا تَتَمَكَّنُ مِنَ اللَّحَاقِ بِهِ. امْتَطَى هوو حِصَانَهُ لِلذَّهَابِ إِلَى الصَّيْدِ، وَرَكَضَ الْحِصَانُ بَعِيدًا وَكَانَ لَا يَتَوَقَّفُ. وَصَلَ هوو إِلَى جَبَلِ كونلون وَقَابَلَ الْمَلِكَةَ الْأُمَّ، مَلِكَةَ بَحْرِ الْيَشْبِ. أَعْطَتْهُ الْمَلِكَةُ عُشْبَةَ الْخُلُودِ. أَخَذَهَا هوو إِلَى مَنْزِلِهِ وَخَبَّأَهَا فِي غُرْفَتِهِ، وَلَكِنَّ زَوْجَتَهُ — الَّتِي كَانَتْ تُدْعَى تشانج أو — أَكَلَتْ مِنْهَا فِي مَرَّةٍ خِلْسَةً عِنْدَمَا كَانَ خَارِجَ الْمَنْزِلِ، وَارْتَقَتْ فَوْرًا فَوْقَ السَّحَابِ. عِنْدَمَا وَصَلَتْ إِلَى الْقَمَرِ، وَجَدَتْ هُنَاكَ قَلْعَةً، وَقَدْ عَاشَتْ فِيهَا مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ كَسَيِّدَةِ الْقَمَرِ.

وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي فِي مُنْتَصَفِ الْخَرِيفِ، جَلَسَ إِمْبَرَاطُورٌ مِنْ سُلَالَةِ تانج يَشْرَبُ النَّبِيذَ مَعَ اثْنَيْنِ مِنَ السَّحَرَةِ، وَقَامَ أَحَدُهُمَا بِرَمْيِ عَصَا الْبَامْبُو فِي الْهَوَاءِ فَتَحَوَّلَتْ إِلَى جِسْرٍ رَائِعٍ، وَتَسَلَّقَهُ ثَلَاثَتُهُمْ صُعُودًا إِلَى الْقَمَرِ، وَهُنَاكَ شَاهَدُوا قَلْعَةً عَظِيمَةً مَكْتُوبًا أَمَامَهَا «قَصْرُ الْجَلِيدِ الْكِرِيسْتَالِيُّ الْفَسِيحُ»، وَبِجَانِبِهَا وَقَفَتْ شَجَرَةُ كَاسْيَا مُزْدَهِرَةً وَتَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةٌ تَعْبِقُ بِالْهَوَاءَ. كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَجْلِسُ عَلَى الشَّجَرَةِ وَيَقْطَعُ كُلَّ الْأَغْصَانِ الصَّغِيرَةِ بِفَأْسٍ. قَالَ أَحَدُ السَّحَرَةِ: «إِنَّهُ رَجُلُ الْقَمَرِ. إِنَّ شَجَرَةَ الْكَاسْيَا تَنْمُو بِسُرْعَةٍ حَتَّى إِنَّهُ مَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ تَطْغَى عَلَى بَرِيقِ الْقَمَرِ؛ وَلِذَلِكَ يَجِبُ قَصُّ فُرُوعِهَا مَرَّةً كُلَّ أَلْفِ سَنَةٍ.» دَخَلُوا جَمِيعًا إِلَى

الْقَصْرِ الْفَسِيحِ. كَانَتِ الْأَدْوَارُ الْفِضِّيَّةُ فِي الْقَلْعَةِ يَعْلُو بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَكَانَتِ الْجُدْرَانُ وَالْأَعْمِدَةُ مِنَ الْكِرِيسْتَالِ. كَانَ هُنَاكَ عَلَى الْجُدْرَانِ أَقْفَاصٌ وَبُحَيْرَاتٌ حَيْثُ تُوجَدُ أَسْمَاكٌ وَطُيُورٌ تَتَحَرَّكُ كَمَا لَوْ أَنَّهَا حَيَّةٌ. كَانَ عَالَمُ الْقَمَرِ كُلُّهُ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ قَدْ صُنِعَ مِنَ الزُّجَاجِ. وَبَيْنَمَا كَانُوا يَتَأَمَّلُونَ مَا حَوْلَهُمْ مِنْ كُلِّ الْجَوَانِبِ حَضَرَتْ إِلَيْهِمْ سَيِّدَةُ الْقَمَرِ تَرْتَدِي عَبَاءَةً بَيْضَاءَ وَفُسْتَانًا بِأَلْوَانِ قَوْسِ قُزَحَ. ابْتَسَمَتْ وَقَالَتْ لِلْإِمْبِرَاطُورِ: «أَنْتَ أَمِيرٌ فِي عَالَمِ الْغُبَارِ الدُّنْيَوِيِّ. لَا بُدَّ وَأَنَّ ثَرْوَتَكَ هَائِلَةٌ لِأَنَّكَ اسْتَطَعْتَ الْوُصُولَ إِلَى هُنَا!» وَاسْتَدْعَتْ خَدَمَهَا الَّذِينَ حَضَرُوا عَلَى طُيُورٍ بَيْضَاءَ وَغَنَّوْا وَرَقَصُوا تَحْتَ شَجَرَةِ الْكَاسْيَا، وَتَصَاعَدَتْ مُوسِيقَى نَقِيَّةٌ فِي الْأَجْوَاءِ. كَانَ يَقَعُ بِجَانِبِ الشَّجَرَةِ مِهْرَاسٌ مَصْنُوعٌ مِنَ الرُّخَامِ الْأَبْيَضِ؛ حَيْثُ كَانَ أَرْنَبٌ يَقُومُ بِطَحْنِ الْأَعْشَابِ. كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْجَانِبَ الْمُظْلِمَ مِنَ الْقَمَرِ. عِنْدَمَا انْتَهَتِ الرَّقْصَةُ، عَادَ الْإِمْبِرَاطُورُ إِلَى الْأَرْضِ مُجَدَّدًا مَعَ السَّحَرَةِ، وَكَانَ قَدْ أَخَذَ الْأَغَانِيَ الَّتِي سَمِعَهَا عَلَى الْقَمَرِ مَكْتُوبَةً، وَكَانَتْ تُغَنَّى عَلَى نَغَمَاتِ الْمِزْمَارِ الْمَصْنُوعِ مِنَ الْيَشْبِ فِي حَدِيقَةِ أَشْجَارِ الْكُمَّثْرَى.

مَلْحُوظَةٌ: هَذِهِ الْحِكَايَةُ مِنَ التُّرَاثِ تَرْوِي أُسْطُورَةَ رَامِي السِّهَامِ هوو فِي عُصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ. كَمَا يَتِمُّ ذِكْرُهُ أَيْضًا فِي الْحِكَايَاتِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْقَمَرِ؛ فَتَقُصُّ إِحْدَى الْحِكَايَاتِ عَنْ كَيْفِيَّةِ إِنْقَاذِهِ لِلْقَمَرِ أَثْنَاءَ الْخُسُوفِ مُسْتَخْدِمًا سِهَامَهُ. الْمَلِكَةُ الْأُمُّ هِيَ سي وانج مو، وَقَدْ حَكَمَتْ سُلَالَةَ تانج فَتْرَةَ ٦١٨–٩٠٦ بَعْدَ الْمِيلَادِ. «قَصْرُ الْجَلِيدِ الْكِرِيسْتَالِيُّ الْفَسِيحُ»: لَدَى مَلِكَةِ الْجَلِيدِ مَسْكَنُهَا عَلَى الْقَمَرِ أَيْضًا. الْأَرْنَبُ عَلَى الْقَمَرِ هُوَ رَمْزٌ مَحْبُوبٌ؛ فَهُوَ يَطْحَنُ حُبُوبَ النُّضْجِ أَوِ الْأَعْشَابَ الَّتِي يُصْنَعُ مِنْهَا إِكْسِيرُ الْحَيَاةِ. ضُفْدَعُ الْمَطَرِ تشان، ذُو الثَّلَاثِ أَرْجُلٍ، مَوْجُودٌ عَلَى الْقَمَرِ أَيْضًا. وَطِبْقًا لِإِحْدَى نُسَخِ الْحِكَايَةِ، اتَّخَذَتْ تشانج أو شَكْلَ هَذَا الضُّفْدَعِ.

الْمُزَارِعُ الْبَخِيلُ

كَانَ هُنَاكَ فِيمَا مَضَى مُزَارِعٌ قَدْ أَخَذَ ثَمَرَاتِ الْكُمَّثْرَى إِلَى السُّوقِ. وَلِأَنَّ طَعْمَهَا وَرَائِحَتَهَا كَانَا طَيِّبَيْنِ، كَانَ الْمُزَارِعُ عَلَى أَمَلِ أَنْ يَتَلَقَّى سِعْرًا مُنَاسِبًا مُقَابِلَهَا. تَقَدَّمَ إِلَى الْعَرَبَةِ رَاهِبٌ بُوذِيٌّ ذُو قُبَّعَةٍ وَرِدَاءٍ مُمَزَّقٍ وَطَلَبَ ثَمَرَةَ كُمَّثْرَى. نَهَرَهُ الْمُزَارِعُ وَلَكِنَّ الرَّاهِبَ لَمْ يَرْحَلْ، فَغَضِبَ الْمُزَارِعُ وَأَخَذَ يَنْعَتُهُ بِأَلْقَابٍ سَيِّئَةٍ. قَالَ الرَّاهِبُ: «لَدَيْكَ الْمِئَاتُ مِنْ ثَمَرَاتِ الْكُمَّثْرَى فِي عَرَبَتِكَ وَأَنَا أَطْلُبُ وَاحِدَةً فَقَطْ. مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ ذَلِكَ لَنْ يُسَبِّبَ لَكَ ضَرَرًا جَسِيمًا. لِمَاذَا غَضِبْتَ بِشِدَّةٍ هَكَذَا؟»

قَالَ الْمَارَّةُ لِلْمُزَارِعِ إِنَّ عَلَيْهِ إِعْطَاءَ الرَّاهِبِ وَاحِدَةً مِنَ الثَّمَرَاتِ الصَّغِيرَةِ وَيَتْرُكُهُ لِيَذْهَبَ، وَلَكِنَّ الْمُزَارِعَ رَفَضَ رَفْضًا قَاطِعًا. شَاهَدَ حِرْفِيٌّ الْأَمْرَ كُلَّهُ مِنْ مَتْجَرِهِ، وَلِأَنَّ الضَّوْضَاءَ أَزْعَجَتْهُ، أَخَذَ بَعْضَ الْمَالِ وَاشْتَرَى ثَمَرَةَ كُمَّثْرَى وَأَعْطَاهَا لِلرَّاهِبِ.

شَكَرَهُ الرَّاهِبُ وَقَالَ: «شَخْصٌ مِثْلِي قَدْ وَهَبَ حَيَاتَهُ لِلْعَالَمِ يَجِبُ أَلَّا يَكُونَ بَخِيلًا. لَدَيَّ ثَمَرَاتُ كُمَّثْرَى جَمِيلَةٌ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ جَمِيعًا لِتَنَاوُلِهَا مَعِي.» فَسَأَلَهُ الْبَعْضُ: «إِذَا كَانَ لَدَيْكَ ثِمَارُ كُمَّثْرَى فَلِمَاذَا لَا تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِكَ؟!» فَأَجَابَ: «يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَدَيَّ بِذْرَةٌ لِأَزْرَعَهَا أَوَّلًا.»

بَدَأَ الرَّاهِبُ فِي أَكْلِ الْكُمَّثْرَى بِحَمَاسٍ. وَعِنْدَمَا انْتَهَى أَمْسَكَ النَّوَاةَ فِي يَدِهِ، وَأَنْزَلَ فَأْسَهُ مِنْ فَوْقِ كَتِفِهِ وَحَفَرَ حُفْرَةً، وَقَامَ بِوَضْعِ النَّوَاةِ فِي الْحُفْرَةِ وَرَدَمَ فَوْقَهَا بِالتُّرَابِ، ثُمَّ طَلَبَ مِنَ النَّاسِ فِي السُّوقِ بَعْضَ الْمَاءِ لِيَسْقِيَ النَّوَاةَ بِهَا. جَلَبَ اثْنَانِ مِنَ الْفُضُولِيِّينَ مَاءً سَاخِنًا مِنَ الْفُنْدُقِ بِالشَّارِعِ، وَبِهَذَا الْمَاءِ سَقَى الرَّاهِبُ النَّوَاةَ. كَانَتْ آلَافُ الْعُيُونِ مُسَلَّطَةً عَلَى هَذِهِ الْبُقْعَةِ. كَانَ يُمْكِنُ رُؤْيَةُ النَّوَاةِ وَهِيَ تُكَوِّنُ الْبُرْعُمَ. نَمَا الْبُرْعُمُ وَفِي لَحْظَةٍ تَحَوَّلَ إِلَى شَجَرَةٍ

خَرَجَتْ مِنْهَا الْأَغْصَانُ وَالْأَوْرَاقُ. بَدَأَتْ تُزْهِرُ وَبِسُرْعَةٍ نَضِجَتِ الْفَاكِهَةُ؛ ثَمَرَاتُ كُمَّثْرَى كَبِيرَةٌ طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ تَتَدَلَّى كَالْعَنَاقِيدِ مِنَ الْفُرُوعِ. تَسَلَّقَ الرَّاهِبُ الشَّجَرَةَ وَأَعْطَى الْكُمَّثْرَى لِلْمَارَّةِ. وَفِي لَحْظَةٍ كَانَتِ الْكُمَّثْرَى كُلُّهَا قَدْ أُكِلَتْ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّاهِبُ فَأْسَهُ وَأَخَذَ يَقْطَعُ الشَّجَرَةَ. لَحَظَاتٍ وَكَانَتِ الشَّجَرَةُ قَدْ قُطِعَتْ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّاهِبُ الشَّجَرَةَ عَلَى كَتِفِهِ وَمَشَى بَعِيدًا بِخُطُوَاتٍ سَرِيعَةٍ.

عِنْدَمَا بَدَأَ الرَّاهِبُ يَقُومُ بِسِحْرِهِ، كَانَ الْمُزَارِعُ قَدِ انْدَمَجَ مَعَ الْجَمْعِ الْوَاقِفِ. وَقَفَ هُنَاكَ مُشْرَئِبًّا بِعُنُقِهِ وَمُحَدِّقًا بِعَيْنَيْهِ، وَنَسِيَ تَمَامًا تِجَارَتَهُ الَّتِي كَانَ يَنْتَوِي تَحْقِيقَهَا بِالْكُمَّثْرَى. عِنْدَمَا رَحَلَ الرَّاهِبُ، الْتَفَتَ الْمُزَارِعُ لِيَعْتَنِيَ بِعَرَبَتِهِ، وَلَكِنْ كَانَتْ ثَمَرَاتُ الْكُمَّثْرَى كُلُّهَا قَدِ اخْتَفَتْ؛ فَأَدْرَكَ أَنَّ الْكُمَّثْرَى الَّتِي زَرَعَهَا الرَّاهِبُ كَانَتْ مِلْكَهُ. دَقَّقَ النَّظَرَ أَكْثَرَ فَوَجَدَ أَنَّ عَجَلَةَ الْعَرَبَةِ قَدِ اخْتَفَتْ أَيْضًا، وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهَا قَدْ قُطِعَتْ حَدِيثًا. ثَارَ الْمُزَارِعُ غَاضِبًا وَأَسْرَعَ خَلْفَ الرَّاهِبِ بِأَقْصَى مَا عِنْدَهُ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الزَّاوِيَةِ، وَجَدَ الْعَجَلَةَ الْمَفْقُودَةَ مُلْقَاةً عَلَى الْأَرْضِ بِجَانِبِ حَائِطِ الْمَدِينَةِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ فَهِمَ أَنَّ شَجَرَةَ الْكُمَّثْرَى الَّتِي قَطَعَهَا الرَّاهِبُ كَانَتْ عَجَلَةَ عَرَبَتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدِ الرَّاهِبَ فِي أَيِّ مَكَانٍ، وَانْفَجَرَ السُّوقُ كُلُّهُ ضَحِكًا بِصَوْتٍ عَالٍ.

دشانج الْعَجُوزُ

كَانَ هُنَاكَ فِيمَا مَضَى رَجُلٌ يُدْعَى دشانج الْعَجُوزَ. كَانَ يَعِيشُ فِي بَلْدَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْ يانجتشو وَيَعْمَلُ بُسْتَانِيًّا. كَانَ جَارُهُ وَيُدْعَى السَّيِّدَ وي يَشْغَلُ مَنْصِبًا حُكُومِيًّا فِي يانجتشو. قَرَّرَ السَّيِّدُ وي أَنَّهُ قَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِكَيْ تَتَزَوَّجَ ابْنَتُهُ؛ لِذَلِكَ أَرْسَلَ فِي طَلَبِ الْخَاطِبَةِ وَطَلَبَ مِنْهَا إِيجَادَ زَوْجٍ مُنَاسِبٍ. سَمِعَ دشانج الْعَجُوزُ بِالْأَمْرِ وَكَانَ مَسْرُورًا. حَضَّرَ دشانج الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَأَضَافَ الْخَاطِبَةَ وَأَمَرَهَا أَنْ تُرَشِّحَهُ هُوَ زَوْجًا، وَلَكِنَّهَا أَخَذَتْ تُؤَنِّبُهُ.

فِي الْيَوْمِ التَّالِي دَعَاهَا مُجَدَّدًا عَلَى الْعَشَاءِ وَأَعْطَاهَا نُقُودًا، فَقَالَتْ لَهُ الْخَاطِبَةُ الْعَجُوزُ: «أَنْتَ لَا تَعْلَمُ مَا الَّذِي تُرِيدُهُ! لِمَاذَا تُقَلِّلُ ابْنَةُ رَجُلٍ نَبِيلٍ جَمِيلَةٌ مِنْ نَفْسِهَا وَتَتَزَوَّجُ مِنْ بُسْتَانِيٍّ عَجُوزٍ فَقِيرٍ مِثْلِكَ؟! حَتَّى وَإِنْ كَانَ لَدَيْكَ الْكَثِيرُ جِدًّا مِنَ الْمَالِ، فَإِنَّ شَعْرَكَ الْأَبْيَضَ لَنْ يُمَاثِلَ خُصْلَاتِهَا السُّودَ. مِثْلُ هَذَا الزَّوَاجِ مَرْفُوضٌ تَمَامًا!»

وَلَكِنَّ دشانج الْعَجُوزَ لَمْ يَتَوَقَّفْ عَنِ التَّوَسُّلِ لَهَا: «قُومِي بِمُحَاوَلَةٍ وَاحِدَةٍ، مُحَاوَلَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ لِذِكْرِ اسْمِي! إِذَا لَمْ يَسْتَمِعُوا لَكِ فَعِنْدَهَا سَأَسْتَسْلِمُ لِقَدَرِي!»

كَانَتِ الْخَاطِبَةُ الْعَجُوزُ قَدْ أَخَذَتْ مَالَهُ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ تَسْتَطِعِ الرَّفْضَ. وَبِالرَّغْمِ مِنْ خَوْفِهَا مِنَ التَّوْبِيخِ ذَكَرَتِ اسْمَهُ عِنْدَ السَّيِّدِ وي. ثَارَ السَّيِّدُ وي غَضَبًا وَأَرَادَ طَرْدَهَا خَارِجَ الْمَنْزِلِ.

قَالَتْ: «كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ لَنْ تَشْكُرَنِي، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ أَصَرَّ كَثِيرًا فَلَمْ أَسْتَطِعْ رَفْضَ ذِكْرِ رَغْبَتِهِ.»

«أَخْبِرِي الرَّجُلَ الْعَجُوزَ أَنَّهُ إِذَا أَحْضَرَ لِيَ الْيَوْمَ حَجَرَيْنِ مِنْ حَجَرِ الْيَشْبِ الْأَبْيَضِ وَأَرْبَعَمِائَةِ أُوقِيَّةٍ مِنَ الذَّهَبِ الْأَصْفَرِ؛ فَعِنْدَهَا سَأُعْطِيهِ ابْنَتِي لِلزَّوَاجِ.»

كَانَ هَدَفُ الرَّجُلِ هُوَ السُّخْرِيَةَ مِنْ حَمَاقَةِ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ؛ حَيْثُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَخِيرَ لَنْ يَسْتَطِيعَ إِعْطَاءَهُ أَيًّا مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. ذَهَبَتِ الْخَاطِبَةُ إِلَى دشانج الْعَجُوزِ وَأَوْصَلَتِ الرِّسَالَةَ. وَلَمْ يُبْدِ دشانج أَيَّ اعْتِرَاضٍ، بَلْ إِنَّهُ أَحْضَرَ فَوْرًا كَمِّيَّةَ الذَّهَبِ وَالْمُجَوْهَرَاتِ الْمَطْلُوبَةَ إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدِ وي. كَانَ الْأَخِيرُ مَذْعُورًا، وَعِنْدَمَا سَمِعَتْ زَوْجَتُهُ بِالْأَمْرِ أَخَذَتْ تَنْتَحِبُ وَتَبْكِي بِصَوْتٍ عَالٍ، وَلَكِنَّ الْفَتَاةَ وَاسَتْ أُمَّهَا وَقَالَتْ: «لَقَدْ أَعْطَى أَبِي كَلِمَتَهُ وَلَنْ يَسْتَطِيعَ سَحْبَهَا الْآنَ. سَأَعْرِفُ كَيْفَ أَتَحَمَّلُ قَدَرِي.»

وَهَكَذَا أَصْبَحَتِ ابْنَةُ السَّيِّدِ وي مُتَزَوِّجَةً مِنْ دشانج الْعَجُوزِ. وَلَكِنْ حَتَّى بَعْدَ الزِّفَافِ لَمْ يَتَخَلَّ الْأَخِيرُ عَنْ عَمَلِهِ كَبُسْتَانِيٍّ؛ فَكَانَ يَعْزِقُ أَرْضَهُ وَيَبِيعُ الْخَضْرَاوَاتِ كَعَادَتِهِ. وَكَانَ عَلَى زَوْجَتِهِ إِحْضَارُ الْمِيَاهِ وَإِشْعَالُ نَارِ الْمَطْبَخِ بِنَفْسِهَا. وَقَامَتْ بِكُلِّ أَعْمَالِهَا بِدُونِ أَيِّ خَجَلٍ. وَبِالرَّغْمِ مِنْ لَوْمِ أَقَارِبِهَا وَعِتَابِهِمُ اسْتَمَرَّتْ فِي الْقِيَامِ بِهَا.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، زَارَ السَّيِّدَ وي قَرِيبٌ أَرِسْتُقْرَاطِيٌّ وَقَالَ: «إِذَا كُنْتَ فَقِيرًا حَقًّا، أَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ رِجَالٌ نُبَلَاءُ شَبَابٌ فِي الْحَيِّ يُنَاسِبُونَ ابْنَتَكَ؟ لِمَاذَا كَانَ عَلَيْكَ تَزْوِيجُهَا مِنْ هَذَا الْبُسْتَانِيِّ الْعَجُوزِ؟ وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ تَخَلَّيْتَ عَنْهَا، إِذَا جَازَ التَّعْبِيرُ، سَيَكُونُ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يَتْرُكُوا هَذَا الْجُزْءَ مِنَ الْمَدِينَةِ.»

حَضَّرَ السَّيِّدُ وي وَلِيمَةً وَدَعَا إِلَيْهَا ابْنَتَهُ ودشانج الْعَجُوزَ. وَعِنْدَمَا أَكَلَا مَا يَكْفِي مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لَمَّحَ لَهُمَا بِمَا كَانَ يَدُورُ فِي خَاطِرِهِ.

قَالَ دشانج الْعَجُوزُ: «لَقَدْ بَقِيتُ هُنَا فَقَطْ لِأَنِّي اعْتَقَدْتُ أَنَّكُمْ سَتَشْتَاقُونَ لِابْنَتِكُمْ، وَلَكِنْ بِمَا أَنَّكُمْ قَدْ سَئِمْتُمْ مِنَّا، فَسَأَكُونُ مَسْرُورًا بِالرَّحِيلِ. لَدَيَّ بَيْتٌ رِيفِيٌّ صَغِيرٌ فِي التِّلَالِ وَسَنَرْحَلُ إِلَيْهِ غَدًا فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ.»

فِي الصَّبَاحِ التَّالِي عِنْدَ بُزُوغِ الْفَجْرِ، حَضَرَ دشانج الْعَجُوزُ مَعَ زَوْجَتِهِ لِوَدَاعِهِمْ. قَالَ السَّيِّدُ وي: «إِذَا افْتَقَدْنَاكُمْ وَأَرَدْنَا رُؤْيَتَكُمْ فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ، فَسَيَسْأَلُ ابْنِي عَنْ مَكَانِكُمَا.» أَرْكَبَ دشانج الْعَجُوزُ زَوْجَتَهُ عَلَى حِمَارٍ وَأَعْطَاهَا قُبَّعَةً مِنَ الْقَشِّ لِتَرْتَدِيَهَا. أَمَّا هُوَ فَقَدْ حَمَلَ عَصَاهُ وَسَارَ خَلْفَهَا.

مَضَتْ عِدَّةُ سَنَوَاتٍ بِدُونِ أَيِّ أَخْبَارٍ مِنْ جَانِبِ أَيٍّ مِنْهُمَا، ثُمَّ شَعَرَ السَّيِّدُ وي وَزَوْجَتُهُ بِالشَّوْقِ لِرُؤْيَةِ ابْنَتِهِمَا، وَأَرْسَلَا ابْنَهُمَا لِيَسْأَلَ عَنْ مَكَانِهَا. عِنْدَمَا ذَهَبَ الْأَخِيرُ إِلَى التِّلَالِ قَابَلَ فَتًى حَرَّاثًا كَانَ يَحْرُثُ بِدَفَّتَيْنِ وَسَأَلَهُ: «أَيْنَ يَقَعُ بَيْتُ دشانج الْعَجُوزِ؟» تَرَكَ الْفَتَى

الْمِحْرَاثَ بِسُرْعَةٍ وَانْحَنَى وَأَجَابَ: «أَنْتَ قَادِمٌ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ يَا سَيِّدِي! الْقَرْيَةُ لَيْسَتْ بَعِيدَةً عَنْ هُنَا. سَأَدُلُّكَ عَلَى الطَّرِيقِ.»

عَبَرَا تَلَّةً، وَكَانَ عِنْدَ أَسْفَلِ التَّلَّةِ يَتَدَفَّقُ جَدْوَلٌ، وَعِنْدَمَا عَبَرَا هَذَا الْجَدْوَلَ كَانَ عَلَيْهِمْ تَسَلُّقُ تَلَّةٍ أُخْرَى. وَبِالتَّدْرِيجِ بَدَأَ الْمَنْظَرُ يَتَغَيَّرُ. مِنْ أَعْلَى التَّلَّةِ كَانَ يُمْكِنُ رُؤْيَةُ وَادٍ مُسْتَوٍ فِي مُنْتَصَفِهِ، وَمُحَاطٍ بِجُرُوفٍ شَدِيدَةِ الِانْحِدَارِ، وَمُظَلَّلٍ بِأَشْجَارٍ خَضْرَاءَ، وَفِي وَسَطِ ذَلِكَ بَرَزَتِ الْمَنَازِلُ وَالْأَبْرَاجُ. كَانَ هَذَا هُوَ مَنْزِلَ دشانج الْعَجُوزِ الرِّيفِيَّ. قَبْلَ الْقَرْيَةِ كَانَ يَتَدَفَّقُ جَدْوَلٌ عَمِيقٌ مِنَ الْمِيَاهِ الزَّرْقَاءِ النَّقِيَّةِ. عَبَرَ الِاثْنَانِ جِسْرًا مِنَ الْحِجَارَةِ وَوَصَلَا إِلَى الْبَوَّابَةِ. هُنَا كَانَتِ الْأَزْهَارُ وَالْأَشْجَارُ تَنْمُو فِي تَنَاغُمٍ غَنِيٍّ، وَطُيُورُ الطَّاوُوسِ وَالْغُرْنُوقِ تَطِيرُ حَوْلَهَا. مِنْ بَعِيدٍ كَانَ يُمْكِنُ سَمَاعُ أَصْوَاتِ النَّايَاتِ وَالْآلَاتِ الْوَتَرِيَّةِ. كَانَتِ النَّغَمَاتُ الْوَاضِحَةُ تَعْلُو إِلَى السَّحَابِ. اسْتَقْبَلَ الضَّيْفَ عِنْدَ الْبَوَّابَةِ سَاعٍ يَرْتَدِي عَبَاءَةً أُرْجُوَانِيَّةً وَقَادَهُ إِلَى قَاعَةٍ فَخَامَتُهَا لَا مَثِيلَ لَهَا. كَانَتْ رَوَائِحُ غَرِيبَةٌ تَمْلَأُ الْهَوَاءَ، وَكَانَ هُنَاكَ رَنِينُ أَجْرَاسٍ صَغِيرَةٍ مِنَ اللُّؤْلُؤِ. جَاءَتْ خَادِمَتَانِ لِتَحِيَّتِهِ وَتَبِعَهُمَا صَفَّانِ مِنَ الْفَتَيَاتِ الْجَمِيلَاتِ فِي مَوْكِبٍ طَوِيلٍ. بَعْدَهُمَا جَاءَ رَجُلٌ يَرْتَدِي عِمَامَةً وَمُتَّشِحٌ بِالْحَرِيرِ الْأَحْمَرِ مَعَ خُفَّيْنِ مِنَ اللَّوْنِ نَفْسِهِ. حَيَّاهُ الضَّيْفُ. كَانَ جَادًّا وَمُحْتَرَمًا وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ بَدَا شَابًّا. فِي الْبِدَايَةِ لَمْ يَتَعَرَّفِ ابْنُ وي عَلَيْهِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا دَقَّقَ النَّظَرَ فُوجِئَ أَنَّهُ دشانج الْعَجُوزُ! قَالَ الْأَخِيرُ مُبْتَسِمًا: «أَنَا سَعِيدٌ أَنَّ بُعْدَ الْمَسَافَةِ لَمْ يَمْنَعْ زِيَارَتَكَ. أُخْتُكَ تُمَشِّطُ شَعْرَهَا وَسَتَسْتَقْبِلُكَ فَوْرًا!» وَدَعَاهُ لِلْجُلُوسِ وَشُرْبِ الشَّايِ.

بَعْدَ مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ جَاءَتْ خَادِمَةٌ وَقَادَتْهُ إِلَى الْغُرَفِ الدَّاخِلِيَّةِ عِنْدَ أُخْتِهِ. كَانَتْ أَلْوَاحُ غُرْفَتِهَا مِنْ خَشَبِ الصَّنْدَلِ، وَالْأَبْوَابُ مِنْ صَدَفِ السَّلَاحِفِ، وَالنَّوَافِذُ مُطَعَّمَةً بِأَحْجَارِ الْيَشْبِ؛ وَكَانَتْ سَتَائِرُهَا عِبَارَةً عَنْ خُيُوطٍ مِنَ اللَّآلِئِ، وَالدَّرَجُ الْمُؤَدِّي إِلَى الْغُرْفَةِ كَانَ مِنْ حَجَرِ النِّفْرِيتِ الْأَخْضَرِ. كَانَتْ أُخْتُهُ تَرْتَدِي ثَوْبًا رَائِعًا، وَكَانَتْ أَجْمَلَ مِمَّا مَضَى بِكَثِيرٍ. سَأَلَتْهُ بِغَيْرِ اهْتِمَامٍ عَنْ أَحْوَالِهِ وَعَمَّا يَفْعَلُهُ وَالِدَاهَا، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ وَدُودَةً. وَبَعْدَ تَنَاوُلِ وَجْبَةٍ شَهِيَّةٍ أَمَرَتْ بِتَجْهِيزِ جَنَاحٍ لَهُ.

قَالَ لَهُ دشانج الْعَجُوزُ: «تَرْغَبُ أُخْتِي فِي الْقِيَامِ بِرِحْلَةٍ قَصِيرَةٍ إِلَى جَبَلِ الْجِنِّيَّاتِ. سَنَعُودُ بِحُلُولِ الْغُرُوبِ، وَيُمْكِنُكَ الرَّاحَةُ حَتَّى نَعُودَ.»

ارْتَفَعَتْ عِدَّةُ سُحُبٍ مُلَوَّنَةٍ فِي السَّاحَةِ وَانْطَلَقَتْ مُوسِيقَى عَذْبَةٌ فِي الْهَوَاءِ. امْتَطَى دشانج الْعَجُوزُ تِنِّينًا، بَيْنَمَا رَكِبَتْ زَوْجَتُهُ وَأُخْتُهُ طَائِرَيْ عَنْقَاءَ، وَكَانَ الْخَدَمُ عَلَى طُيُورِ الْغُرْنُوقِ. ارْتَفَعُوا فِي الْهَوَاءِ وَاخْتَفَوْا مُتَّجِهِينَ إِلَى الشَّرْقِ. لَمْ يَعُودُوا إِلَّا بَعْدَ الْغُرُوبِ.

عِنْدَمَا عَادُوا قَالَ دشانج الْعَجُوزُ وَزَوْجَتُهُ: «هَذَا مَسْكَنُ الْمُبَارَكِينَ. لَا يُمْكِنُكَ الْبَقَاءُ هُنَا لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ. غَدًا نَصْطَحِبُكَ لِلْعَوْدَةِ.»

فِي الْيَوْمِ التَّالِي عِنْدَ وَقْتِ الرَّحِيلِ، أَعْطَاهُ دشانج ثَمَانِينَ أُوقِيَّةً مِنَ الذَّهَبِ وَقُبَّعَةً قَدِيمَةً مِنَ الْقَشِّ وَقَالَ: «إِذَا احْتَجْتَ أَيَّ مَالٍ، يُمْكِنُكَ الذَّهَابُ إِلَى يانجتشو وَالسُّؤَالُ فِي الضَّوَاحِي الشَّمَالِيَّةِ عَنْ مَتْجَرِ وانج الْعَجُوزِ لِلْأَدْوِيَةِ. هُنَاكَ يُمْكِنُكَ تَحْصِيلُ عَشَرَةِ مَلَايِينِ قِطْعَةٍ مِنَ النُّحَاسِ. هَذِهِ الْقُبَّعَةُ تُمَثِّلُ الْأَمْرَ لِطَلَبِهَا.» ثُمَّ أَمَرَ الْفَتَى الْحَرَّاثَ أَنْ يَصْطَحِبَهُ إِلَى الْمَنْزِلِ مُجَدَّدًا.

بَعْضٌ مِنَ النَّاسِ فِي مَوْطِنِهِ، الَّذِينَ قَصَّ عَلَيْهِمْ مُغَامَرَتَهُ، ظَنُّوا أَنَّ دشانج الْعَجُوزَ رَجُلٌ مُقَدَّسٌ، بَيْنَمَا اعْتَبَرَ آخَرُونَ الْأَمْرَ كُلَّهُ خُدْعَةً سِحْرِيَّةً.

بَعْدَ خَمْسٍ أَوْ سِتِّ سَنَوَاتٍ نَفِدَتْ أَمْوَالُ السَّيِّدِ وي، وَهَكَذَا أَخَذَ ابْنُهُ قُبَّعَةَ الْقَشِّ إِلَى يانجتشو، وَهُنَاكَ سَأَلَ عَنْ وانج الْعَجُوزِ. صَادَفَ أَنَّ الْأَخِيرَ كَانَ يَقِفُ فِي مَحَلِّهِ يَمْزُجُ الْأَعْشَابَ. عِنْدَمَا شَرَحَ لَهُ الِابْنُ الْأَمْرَ قَالَ: «الْمَالُ جَاهِزٌ، وَلَكِنْ هَلْ قُبَّعَتُكَ أَصْلِيَّةٌ؟» وَأَخَذَ الْقُبَّعَةَ وَتَفَحَّصَهَا. جَاءَتْ فَتَاةٌ مِنَ الْغُرْفَةِ الدَّاخِلِيَّةِ وَقَالَتْ: «لَقَدْ صَنَعْتُ هَذِهِ الْقُبَّعَةَ مِنْ أَجْلِ دشانج الْعَجُوزِ بِنَفْسِي. لَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ بِهَا خَيْطٌ أَحْمَرُ.» وَبِالْفِعْلِ كَانَ هُنَاكَ خَيْطٌ أَحْمَرُ بِهَا. أَعْطَى وانج الْعَجُوزُ الِابْنَ عَشَرَةَ مَلَايِينَ مِنْ قِطَعِ النُّحَاسِ. وَقَدْ آمَنَ الْأَخِيرُ أَنَّ دشانج الْعَجُوزَ وَلِيٌّ بِحَقٍّ، وَذَهَبَ مُجَدَّدًا إِلَى التِّلَالِ لِيَبْحَثَ عَنْهُ. سَأَلَ حُرَّاسَ الْغَابَاتِ، وَلَكِنْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا. وَلِلْأَسَفِ عَادَ خَائِبًا وَقَرَّرَ سُؤَالَ وانج الْعَجُوزِ، وَلَكِنَّهُ قَدِ اخْتَفَى أَيْضًا.

بَعْدَ مُرُورِ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ، جَاءَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى يانجتشو وَكَانَ يَسِيرُ فِي الْمُرُوجِ الَّتِي تَقَعُ قِبَلَ بَوَّابَةِ الْمَدِينَةِ. هُنَاكَ قَابَلَ الْفَتَى الْحَرَّاثَ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ عِنْدَ دشانج الْعَجُوزِ. صَاحَ الْأَخِيرُ: «كَيْفَ حَالُكَ؟ كَيْفَ حَالُكَ؟» وَأَخْرَجَ عَشَرَةَ جُنَيْهَاتٍ مِنَ الذَّهَبِ وَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا قَائِلًا: «لَقَدْ أَمَرَتْنِي سَيِّدَتِي بِأَنْ أُعْطِيَكَ هَذِهِ. سَيِّدِي يَشْرَبُ الشَّايَ الْآنَ مَعَ وانج الْعَجُوزِ فِي النُّزُلِ.» تَبِعَ وي الصَّغِيرُ الْفَتَى الْحَرَّاثَ وَهُوَ يَنْوِي تَحِيَّةَ صِهْرِهِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى

النُّزُلِ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ، وَعِنْدَمَا الْتَفَتَ كَانَ الْفَتَى الْحَرَّاثُ قَدِ اخْتَفَى أَيْضًا. وَمُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ شَيْئًا عَنْ دشانج الْعَجُوزِ مُجَدَّدًا.

جِنِّيَّاتُ الزُّهُورِ

كَانَ فِيمَا مَضَى عَالِمٌ يَعِيشُ مُنْعَزِلًا عَنِ الْعَالَمِ لِكَيْ يَكْتَسِبَ الْحِكْمَةَ الْخَفِيَّةَ. كَانَ يَعِيشُ وَحِيدًا وَفِي مَكَانٍ سِرِّيٍّ، وَقَدْ زَرَعَ كُلَّ أَنْوَاعِ الزُّهُورِ وَأَشْجَارَ الْبَامْبُو وَالْأَنْوَاعَ الْأُخْرَى فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْمَنْزِلِ الصَّغِيرِ الَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِيهِ؛ فَكَانَ الْمَنْزِلُ يَقَعُ مَخْفِيًّا بَيْنَ بُسْتَانِ الزُّهُورِ. كَانَ يَعِيشُ مَعَهُ خَادِمٌ صَغِيرٌ فَقَطْ يُطِيعُ كُلَّ أَوَامِرِهِ وَيُقِيمُ فِي كُوخٍ مُنْفَصِلٍ. كَانَ غَيْرَ مَسْمُوحٍ لَهُ بِالْمُثُولِ أَمَامَ سَيِّدِهِ إِلَّا عِنْدَ اسْتِدْعَائِهِ فَقَطْ. كَانَ الْعَالِمُ يُحِبُّ زُهُورَهُ كَمَا كَانَ يُحِبُّ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَخْطُ أَيَّ خُطْوَةٍ خَارِجَ حُدُودِ بُسْتَانِهِ أَبَدًا.

صَادَفَ فِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ قُدُومَ لَيْلَةٍ جَمِيلَةٍ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ. كَانَتِ الْأَشْجَارُ وَالزُّهُورُ نَامِيَةً مُتَوَرِّدَةً، وَتَهُبُّ نَسْمَةُ هَوَاءٍ مُنْعِشَةٌ، وَيَسْطَعُ الْقَمَرُ بِنَقَاءٍ. وَكَانَ الْعَالِمُ يَجْلِسُ أَمَامَ كَأْسِهِ شَاكِرًا لِنِعْمَةِ الْحَيَاةِ.

وَفَجْأَةً شَاهَدَ الْعَالِمُ فَتَاةً مُتَّشِحَةً بِمَلَابِسَ سَوْدَاءَ قَادِمَةً تَحْتَ ضَوْءِ الْقَمَرِ. انْحَنَتْ لِتَحِيَّتِهِ وَقَالَتْ: «أَنَا جَارَتُكَ. نَحْنُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الشَّابَّاتِ فِي طَرِيقِنَا إِلَى زِيَارَةِ الْعَمَّاتِ الثَّمَانِيَ عَشْرَةَ. نَوَدُّ الرَّاحَةَ فِي هَذَا الْفِنَاءِ لِفَتْرَةٍ؛ وَلِذَلِكَ نَطْلُبُ إِذْنَكَ.»

رَأَى الْعَالِمُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ الْمَأْلُوفِ، وَأَعْطَاهَا مُوَافَقَتَهُ بِكُلِّ سُرُورٍ. شَكَرَتْهُ الْفَتَاةُ وَرَحَلَتْ.

بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، أَحْضَرَتْ مَعَهَا مَجْمُوعَةً مِنَ الْفَتَيَاتِ يَحْمِلْنَ زُهُورًا وَأَغْصَانَ الصَّفْصَافِ. حَيَّيْنَ جَمِيعُهُنَّ الْعَالِمَ. كَانَتِ الْفَتَيَاتُ فَاتِنَاتٍ؛ مَلَامِحُهُنَّ رَقِيقَةٌ، وَأَجْسَادُهُنَّ مَمْشُوقَةٌ وَرَشِيقَةٌ. عِنْدَمَا كُنَّ يَتَحَرَّكْنَ كَانَتْ رَائِحَةٌ جَمِيلَةٌ تَعْبَقُ بِالْهَوَاءِ. لَا يُوجَدُ عِطْرٌ مَعْرُوفٌ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ يُمْكِنُ مُقَارَنَتُهُ بِهَا.

دَعَاهُنَّ الْعَالِمُ لِلْجُلُوسِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ فِي غُرْفَتِهِ، ثُمَّ سَأَلَهُنَّ: «مَنِ اللَّائِي أَتَشَرَّفُ بِضِيَافَتِهِنَّ؟ هَلْ أَتَيْتُنَّ مِنْ قَلْعَةِ سَيِّدَةِ الْقَمَرِ، أَمْ مِنْ يَنْبُوعِ الْيَشْبِ عِنْدَ الْمَلِكَةِ الْأُمِّ بِالْغَرْبِ؟»

قَالَتْ فَتَاةٌ تَرْتَدِي ثَوْبًا أَخْضَرَ وَهِيَ تَبْتَسِمُ: «كَيْفَ يُمْكِنُنَا ادِّعَاءُ نَسَبٍ رَفِيعٍ كَهَذَا؟ اسْمِي ساليكس.» ثُمَّ قَدَّمَتْ فَتَاةٌ أُخْرَى تَرْتَدِي الْأَبْيَضَ وَقَالَتْ: «هَذِهِ هِيَ السَّيِّدَةُ برانوفورا.» ثُمَّ أَشَارَتْ نَحْوَ فَتَاةٍ تَرْتَدِي ثَوْبًا وَرْدِيًّا: «وَهَذِهِ بيرسيكا.» وَأَخِيرًا وَاحِدَةٌ تَرْتَدِي ثَوْبًا أَحْمَرَ دَاكِنًا: «وَهَذِهِ بونيسا. نَحْنُ جَمِيعًا أَخَوَاتٌ وَنُرِيدُ زِيَارَةَ عَمَّاتِ الرِّيَاحِ الثَّمَانِيَ عَشْرَةَ الْيَوْمَ. الْقَمَرُ يَسْطَعُ بِرَوْعَةٍ اللَّيْلَةَ، وَالْمَكَانُ سَاحِرٌ هُنَا فِي الْحَدِيقَةِ. نَحْنُ مُمْتَنَّاتٌ جِدًّا لِكَرَمِكَ مَعَنَا.»

قَالَ الْعَالِمُ: «أَجَلْ، أَجَلْ.»

ثُمَّ أَعْلَنَ الْخَادِمُ فَجْأَةً: «لَقَدْ حَضَرَتْ عَمَّاتُ الرِّيَاحِ!»

وَقَفَتِ الْفَتَيَاتُ فِي الْحَالِ وَذَهَبْنَ إِلَى الْبَابِ لِمُلَاقَاتِهِنَّ.

قَالَتِ الْفَتَيَاتُ: «لَقَدْ كُنَّا قَادِمَاتٍ لِزِيَارَتِكُنَّ يَا عَمَّاتُ. لَقَدْ دَعَانَا هَذَا السَّيِّدُ لِلْجُلُوسِ قَلِيلًا هُنَا. إِنَّ مَجِيئَكُنَّ هُنَا أَيْضًا مُصَادَفَةٌ رَائِعَةٌ. إِنَّهَا لَيْلَةٌ جَمِيلَةٌ جِدًّا، وَيَجِبُ أَنْ نَشْرَبَ كَأْسًا مِنَ الرَّحِيقِ عَلَى شَرَفِكُنَّ يَا عَمَّاتُ!»

ثُمَّ أَمَرَتِ الْفَتَيَاتُ الْخَادِمَ بِإِحْضَارِ الْمَطْلُوبِ.

سَأَلَتْ إِحْدَى الْعَمَّاتِ: «هَلْ أَسْتَطِيعُ الْجُلُوسَ هُنَا؟»

أَجَابَتِ الْفَتَيَاتُ: «سَيِّدُ هَذَا الْمَنْزِلِ طَيِّبٌ جِدًّا، وَالْمَكَانُ هَادِئٌ وَمَخْفِيٌّ.»

ثُمَّ قَدَّمْنَ الْعَالِمَ إِلَى الْعَمَّاتِ. قَالَ الْعَالِمُ بِضْعَ كَلِمَاتٍ لَطِيفَةٍ لِلْعَمَّاتِ الثَّمَانِيَ عَشْرَةَ. كُنَّ يَتَمَتَّعْنَ بِسُلُوكٍ مُسْتَهْتِرٍ وَهَوَائِيٍّ بَعْضَ الشَّيْءِ. كَانَتْ كَلِمَاتُهُنَّ سَرِيعَةً وَالْجُلُوسُ بِالْقُرْبِ مِنْهُنَّ يُشْعِرُكَ بِالْقُشَعْرِيرَةِ.

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ، كَانَ الْخَادِمُ قَدْ أَحْضَرَ طَاوِلَةً وَكَرَاسِيَّ. جَلَسَتِ الْعَمَّاتُ الثَّمَانِيَ عَشْرَةَ عَلَى رَأْسِ الطَّاوِلَةِ، وَتَبِعَتْهُنَّ الْفَتَيَاتُ، وَجَلَسَ الْعَالِمُ مَعَهُنَّ فِي الْجُزْءِ الْأَخِيرِ. وَسَرِيعًا مَا امْتَلَأَتِ الطَّاوِلَةُ بِأَشْهَى الْأَطْعِمَةِ وَأَلَذِّ الْفَوَاكِهِ، وَامْتَلَأَتِ الْكُئُوسُ بِشَرَابٍ ذِي رَائِحَةٍ جَمِيلَةٍ.

كَانَتْ أَشْيَاءَ عَالَمُ الْإِنْسَانِ لَا يَعْرِفُهَا! سَطَعَ الْقَمَرُ وَأَطْلَقَتِ الزُّهُورُ رَوَائِحَ مُثِيرَةً. بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، وَقَفَتِ الْفَتَيَاتُ وَرَقَصْنَ وَغَنَّيْنَ. كَانَ صَوْتُ غِنَائِهِنَّ الْعَذْبُ تَتَرَدَّدُ أَصْدَاؤُهُ فِي الْمَكَانِ، وَكَانَ رَقْصُهُنَّ كَرَفْرَفَةِ الْفَرَاشَاتِ حَوْلَ الزُّهُورِ. كَانَ الْعَالِمُ مَأْخُوذًا بِكُلِّ هَذَا الْجَمَالِ، فَلَمْ يَعُدْ يَعْلَمُ إِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ أَمْ عَلَى الْأَرْضِ.

عِنْدَمَا انْتَهَتِ الرَّقْصَةُ، جَلَسَتِ الْفَتَيَاتُ إِلَى الطَّاوِلَةِ مُجَدَّدًا وَشَرِبْنَ عَلَى شَرَفِ الْعَمَّاتِ. لَقَدْ كَرَّمُوا الْعَالِمَ بَنَخْبٍ أَيْضًا، وَرَدَّ تَحِيَّتَهُمْ بِكَلِمَاتٍ مُنَمَّقَةٍ مُخْتَارَةٍ.

وَلَكِنَّ الْعَمَّاتِ الثَّمَانِيَ عَشْرَةَ كُنَّ غَيْرَ مَسْئُولَاتٍ فِي تَصَرُّفَاتِهِنَّ، وَقَدْ سَكَبَتْ إِحْدَاهُنَّ بِالْخَطَأِ بَعْضًا مِنَ الشَّرَابِ عَلَى ثَوْبِ بونيسا. بونيسا، الَّتِي كَانَتْ صَغِيرَةً وَسَرِيعَةَ الْغَضَبِ وَتَعْتَنِي بِهِنْدَامِهَا جِدًّا، وَقَفَتْ فِي ثَوْرَةٍ عِنْدَمَا رَأَتِ الْبُقْعَةَ عَلَى ثَوْبِهَا الْأَحْمَرِ.

قَالَتْ بِغَضَبٍ: «أَنْتُنَّ مُسْتَهْتِرَاتٌ جِدًّا. رُبَّمَا تَخَافُ أَخَوَاتِي مِنْكُنَّ وَلَكِنْ أَنَا لَا!»

غَضِبَتِ الْعَمَّاتُ وَقُلْنَ: «كَيْفَ تَجْرُؤُ هَذِهِ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ عَلَى إِهَانَتِنَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ؟» وَلَمَمْنَ أَطْرَافَ أَثْوَابِهِنَّ وَوَقَفْنَ.

تَجَمَّعَتِ الْفَتَيَاتُ حَوْلَهُنَّ وَقُلْنَ: «بونيسا صَغِيرَةٌ جِدًّا وَعَدِيمَةُ الْخِبْرَةِ. يَجِبُ أَلَّا تَحْمِلْنَ أَيَّ ضَغِينَةٍ تُجَاهَهَا. سَتَأْتِي عِنْدَكُنَّ غَدًا وَتَتَلَقَّى عِقَابَهَا.»

وَلَكِنَّ الْعَمَّاتِ الثَّمَانِيَ عَشْرَةَ لَمْ يَسْتَمِعْنَ إِلَيْهِنَّ وَرَحَلْنَ. وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ أَلْقَتِ الْفَتَيَاتُ الْوَدَاعَ عَلَى الْعَالِمِ وَتَنَاثَرْنَ بَيْنَ أَحْوَاضِ الزُّهُورِ وَاخْتَفَيْنَ. مَكَثَ الْعَالِمُ فَتْرَةً طَوِيلَةً تَائِهًا فِي شَوْقٍ حَالِمٍ.

فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ، عَادَتِ الْفَتَيَاتُ كُلُّهُنَّ مُجَدَّدًا.

وَقُلْنَ لَهُ: «سَنَعِيشُ كُلُّنَا فِي حَدِيقَتِكَ. كُلَّ عَامٍ نَتَعَذَّبُ بِسَبَبِ الرِّيَاحِ الشِّرِّيرَةِ؛ وَلِذَلِكَ كُنَّا نَطْلُبُ الْحِمَايَةَ مِنَ الْعَمَّاتِ الثَّمَانِيَ عَشْرَةَ دَائِمًا، وَلَكِنَّ بونيسا أَهَانَتْهُنَّ الْبَارِحَةَ. وَالْآنَ نَخْشَى أَنَّهُنَّ لَنْ يَقُمْنَ بِحِمَايَتِنَا بَعْدَ الْآنَ، وَلَكِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ كُنْتَ دَائِمًا مُسْتَعِدًّا لِمُسَاعَدَتِنَا؛ وَلِذَلِكَ نَحْنُ مُمْتَنَّاتٌ لَكَ. وَالْآنَ نَوَدُّ طَلَبَ مَعْرُوفٍ كَبِيرٍ مِنْكَ: فِي عِيدِ رَأْسِ السَّنَةِ مِنْ كُلِّ عَامٍ، اصْنَعْ عَلَمًا صَغِيرًا أَحْمَرَ اللَّوْنِ، وَارْسُمِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ الْخَمْسَةَ عَلَيْهِ وَعَلِّقْهُ فِي الْجُزْءِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْحَدِيقَةِ. عِنْدَهَا سَنَشْعُرُ نَحْنُ — الْأَخَوَاتِ — بِالسَّلَامِ، وَسَنَكُونُ مَحْمِيَّاتٍ مِنَ الشُّرُورِ. لَكِنْ حَيْثُ إِنَّ عِيدَ رَأْسِ السَّنَةِ قَدْ مَرَّ هَذَا الْعَامَ، نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تَضَعَ

الْعَلَمَ فِي الْيَوْمِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ؛ حَيْثُ إِنَّ الرِّيَاحَ الشَّرْقِيَّةَ قَادِمَةٌ وَسَيَحْمِينَا الْعَلَمُ مِنْهَا!»

وَعَدَهُمُ الْعَالِمُ مِرَارًا بِأَنْ يَفْعَلَ كَمَا طَلَبْنَ، وَقَالَتِ الْفَتَيَاتُ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ: «نَحْنُ نَشْكُرُكَ بِشِدَّةٍ عَلَى لُطْفِكَ الْعَظِيمِ، وَسَنَرُدُّ لَكَ الْجَمِيلَ!» ثُمَّ رَحَلْنَ وَتَرَكْنَ رَائِحَةً جَمِيلَةً مَلَأَتِ الْحَدِيقَةَ كُلَّهَا.

صَنَعَ الْعَالِمُ الْعَلَمَ الْأَحْمَرَ كَمَا وَصَفْنَهُ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ بَدَأَتِ الرِّيَاحُ الشَّرْقِيَّةُ تَعْصِفُ وَقَامَ الْعَالِمُ بِتَعْلِيقِهِ بِسُرْعَةٍ فِي الْحَدِيقَةِ.

وَفَجْأَةً انْدَلَعَتْ عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ تُدَمِّرُ الْغَابَاتِ وَتَقْسِمُ الْأَشْجَارَ. وَبَقِيَتِ الزُّهُورُ فِي الْحَدِيقَةِ وَحْدَهَا لَا تَتَحَرَّكُ.

ثُمَّ لَاحَظَ الْعَالِمُ أَنَّ ساليكس كَانَتِ الصَّفْصَافَةَ، وبرانوفورا كَانَتِ الْبُرْقُوقَ، وبيرسيكا كَانَتِ الْخَوْخَ، وبونيسا الْجَسُورَةَ كَانَتِ الرُّمَّانَ، وَكَانَتْ أَزْهَارُهُنَّ الْقَوِيَّةُ لَا تَتَأَثَّرُ بِالرِّيَاحِ. وَعَلَى صَعِيدٍ آخَرَ، كَانَتْ عَمَّاتُ الرِّيَاحِ هُنَّ أَرْوَاحَ الرِّيَاحِ.

وَفِي الْمَسَاءِ، حَضَرَتْ جِنِّيَّاتُ الزُّهُورِ كُلُّهُنَّ وَجَلَبْنَ لِلْعَالِمِ زُهُورًا مُتَأَلِّقَةً كَهَدِيَّةِ شُكْرٍ.

قُلْنَ لَهُ: «لَقَدْ أَنْقَذْتَنَا وَلَيْسَ لَدَيْنَا أَيُّ شَيْءٍ آخَرُ نُعْطِيهِ لَكَ. إِذَا أَكَلْتَ هَذِهِ الزُّهُورَ فَسَتَعِيشُ طَوِيلًا وَتَتَفَادَى التَّقَدُّمَ فِي السِّنِّ. وَفِي الْمُقَابِلِ، إِذَا قُمْتَ بِحِمَايَتِنَا كُلَّ عَامٍ، فَسَنَعِيشُ طَوِيلًا.»

فَعَلَ الْعَالِمُ كَمَا قُلْنَ لَهُ وَأَكَلَ الزُّهُورَ؛ فَتَغَيَّرَ جِسْمُهُ وَصَارَ يَافِعًا مُجَدَّدًا كَشَابٍّ فِي الْعِشْرِينِيَّاتِ. وَعَلَى مَدَارِ الزَّمَنِ نَالَ الْحِكْمَةَ وَنَالَ مَكَانَةً بَيْنَ الْخَالِدِينَ.

الْأَمِيرَةُ التِّنِّينُ

فِي بَحْرِ دونجتينج يُوجَدُ تَلٌّ، وَفِي التَّلِّ تُوجَدُ حُفْرَةٌ، وَهَذِهِ الْحُفْرَةُ عَمِيقَةٌ جِدًّا وَلَا قَاعَ لَهَا.

ذَاتَ مَرَّةٍ كَانَ صَيَّادٌ يَمُرُّ مِنْ هُنَاكَ فَانْزَلَقَ وَوَقَعَ فِي الْحُفْرَةِ. فَوَصَلَ إِلَى بَلْدَةٍ مَلِيئَةٍ بِالطُّرُقِ الْمُتَعَرِّجَةِ الَّتِي تَقُودُ إِلَى تَلٍّ وَوَادٍ يَطُولُ لِعِدَّةِ أَمْيَالٍ. وَأَخِيرًا وَصَلَ إِلَى قَلْعَةِ تِنِّينٍ قَائِمَةٍ فِي سَهْلٍ فَسِيحٍ. كَانَ هُنَاكَ وَحْلٌ أَخْضَرُ لَزِجٌ يَصِلُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ. ذَهَبَ إِلَى بَوَّابَةِ الْقَلْعَةِ. كَانَ يَحْرُسُهَا تِنِّينٌ يَنْبَثِقُ مِنْهُ مَاءٌ يَتَحَوَّلُ إِلَى بُخَارٍ خَفِيفٍ. ضِمْنَ حُدُودِ الْبَوَّابَةِ، كَانَ يَسْتَلْقِي تِنِّينٌ صَغِيرٌ بِدُونِ قُرُونٍ، وَالَّذِي رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَظْهَرَ حَوَافِرَهُ وَلَمْ يَسْمَحْ لَهُ بِالدُّخُولِ.

أَمْضَى الصَّيَّادُ عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي الْكَهْفِ، يُشْبِعُ جُوعَهُ بِالْوَحْلِ الْأَخْضَرِ الَّذِي اكْتَشَفَ أَنَّهُ يُؤْكَلُ وَطَعْمُهُ يُشْبِهُ عَصِيدَةَ الْأُرْزِ. وَأَخِيرًا، وَجَدَ طَرِيقَةً لِلْخُرُوجِ. أَخْبَرَ الْمَسْئُولَ عَنِ الْمُقَاطَعَةِ مَا حَدَثَ لَهُ، وَقَدْ رَفَعَ الْأَخِيرُ الْأَمْرَ إِلَى الْإِمْبرَاطُورِ. أَرْسَلَ الْإِمْبرَاطُورُ فِي طَلَبِ رَجُلٍ حَكِيمٍ وَسَأَلَهُ عَنِ الْأَمْرِ.

قَالَ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ: «هُنَاكَ أَرْبَعَةُ طُرُقٍ بِدَاخِلِ هَذَا الْكَهْفِ: يَقُودُ الطَّرِيقُ الْأَوَّلُ إِلَى الشَّاطِئِ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ لِبَحْرِ دونجتينج، وَيَقُودُ الطَّرِيقُ الثَّانِي إِلَى وَادٍ فِي أَرْضِ الْأَنْهَارِ الْأَرْبَعَةِ، وَيَنْتَهِي الطَّرِيقُ الثَّالِثُ فِي كَهْفٍ عَلَى جَبَلِ لو-فو. أَمَّا الطَّرِيقُ الرَّابِعُ فَيَنْتَهِي فِي جَزِيرَةٍ عِنْدَ الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ. فِي هَذَا الْكَهْفِ، تَعِيشُ الِابْنَةُ السَّابِعَةُ لِلْمَلِكِ التِّنِّينِ، مَلِكِ الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ، وَالَّتِي تَحْمِي اللَّآلِئَ وَالْكُنُوزَ. حَدَثَ فِي الْمَاضِي الْبَعِيدِ، أَنَّ فَتًى صَيَّادًا قَدْ غَاصَ فِي الْمِيَاهِ وَجَلَبَ لُؤْلُؤَةً مِنْ تَحْتِ ذَقْنِ التِّنِّينِ الْأَسْوَدِ. كَانَ التِّنِّينُ نَائِمًا، وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ سَبَبَ عَوْدَةِ الْفَتَى بِاللُّؤْلُؤَةِ بِدُونِ أَذًى. الْكَنْزُ الْمَسْئُولَةُ عَنْ حِمَايَتِهِ ابْنَةُ الْمَلِكِ التِّنِّينِ يَتَكَوَّنُ مِنَ

الْآلَافِ وَالْمَلَايِينِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْجَوْهَرَةِ. عِدَّةُ آلَافٍ مِنَ التَّنَانِينِ يَحْرُسُونَهَا تَحْتَ خِدْمَتِهَا. كَانَتْ فِي التَّنَانِينِ صِفَةٌ غَرِيبَةٌ؛ فَهِيَ تَنْفِرُ مِنَ الشَّمْعِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مُغْرَمَةً بِأَحْجَارِ الْيَشْمِ الْجَمِيلَةِ، وَالْمَوَادِّ الطِّبِّيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَالْأَخْشَابِ النَّادِرَةِ، وَتُحِبُّ أَكْلَ طُيُورِ السُّنُونُو. إِذَا بَعَثَ الْمَرْءُ مَبْعُوثًا بِرِسَالَةٍ، فَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى بَعْضِ اللَّآلِئِ الثَّمِينَةِ.»

كَانَ الْإِمْبِرَاطُورُ مَسْرُورًا بِشِدَّةٍ، وَقَدْ أَعْلَنَ عَنْ مُكَافَأَةٍ كَبِيرَةٍ لِلرَّجُلِ ذِي الْكَفَاءَةِ الَّذِي سَيَذْهَبُ إِلَى قَلْعَةِ التِّنِّينِ كَسَاعٍ.

كَانَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي تَقَدَّمَ يُدْعَى سو بي-لو، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الْحَكِيمَ قَالَ: «لَقَدْ قَامَ أَحَدُ جُدُودِكَ بِقَتْلِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ تِنِّينٍ مِنَ الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ، وَقَدْ قَتَلَتْهُ التَّنَانِينُ فِي النِّهَايَةِ. التَّنَانِينُ أَعْدَاءُ عَائِلَتِكَ وَلَا يُمْكِنُكَ الذَّهَابُ.»

ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ كانتون؛ لو-دسي-تشان، مَعَ أَخَوَيْهِ وَقَالَ إِنَّ أَسْلَافَهُ كَانُوا أَقْرِبَاءَ الْمَلِكِ التِّنِّينِ؛ وَلِذَلِكَ فَهُمْ مَحْبُوبُونَ مِنْ جَمِيعِ التَّنَانِينِ وَمَعْرُوفُونَ لَدَيْهِمْ. وَقَدْ تَوَسَّلُوا مِنْ أَجْلِ السَّمَاحِ لَهُمْ بِالْقِيَامِ بِالْمَهَمَّةِ.

سَأَلَهُمُ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ: «وَهَلْ مَا زِلْتُمْ تَمْلِكُونَ الْحَجَرَ الَّذِي يُخْضِعُ التَّنَانِينَ تَحْتَ إِرَادَتِكُمْ؟»

قَالُوا: «أَجَلْ، وَقَدْ جَلَبْنَاهُ مَعَنَا.»

طَلَبَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ أَنْ يَعْرِضُوا عَلَيْهِ الْحَجَرَ، ثُمَّ تَحَدَّثَ قَائِلًا: «هَذَا الْحَجَرُ يُخْضِعُ التَّنَانِينَ الَّتِي تَصْنَعُ السَّحَابَ وَتُسْقِطُ الْأَمْطَارَ فَقَطْ؛ فَلَنْ يُجْدِيَ أَمَامَ التَّنَانِينِ الَّتِي تَحْرُسُ لَآلِئَ مَلِكِ الْبِحَارِ.» ثُمَّ سَأَلَهُمْ: «هَلْ تَمْلِكُونَ بُخَارَ مُخِّ التَّنَانِينِ؟»

عِنْدَمَا اعْتَرَفُوا بِأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَهُ قَالَ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ: «كَيْفَ سَتَجْعَلُونَ التَّنَانِينَ تَخْضَعُ وَتُسَلِّمُكُمُ الْكُنُوزَ إِذَنْ؟»

وَهُنَا سَأَلَ الْإِمْبِرَاطُورُ: «مَاذَا سَنَفْعَلُ؟»

أَجَابَ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ: «فِي الْمُحِيطِ الْغَرْبِيِّ، يُبْحِرُ تُجَّارٌ يَبِيعُونَ بُخَارَ مُخِّ التَّنَانِينِ. يَجِبُ أَنْ يَذْهَبَ شَخْصٌ إِلَيْهِمْ وَيَحْصُلَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ. أَعْرِفُ أَيْضًا رَجُلًا مُتَدَيِّنًا مَاهِرًا فِي تَرْوِيضِ التَّنَانِينِ، وَقَدْ حَضَّرَ عَشَرَةَ أَرْطَالٍ مِنْ حِجَارَةِ التِّنِّينِ. يَجِبُ أَنْ يَذْهَبَ أَحَدُهُمْ وَيُحْضِرَ هَذَا أَيْضًا.»

أَرْسَلَ الْإِمْبِرَاطُورُ مَبْعُوثِيهِ. قَابَلُوا أَحَدَ تَلَامِيذِ الرَّجُلِ الْمُتَدَيِّنِ وَحَصَلُوا عَلَى حَجَرَيْنِ مِنْ حِجَارَةِ التِّنِّينِ مِنْهُ.

قَالَ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ: «هَذَا مَا نُرِيدُهُ!»

مَرَّتْ عِدَّةُ أَشْهُرٍ، وَأَخِيرًا حَصَلُوا عَلَى النَّزْرِ الْيَسِيرِ مِنْ بُخَارِ مُخِّ التِّنِّينِ. شَعَرَ الْإِمْبِرَاطُورُ بِبَالِغِ الرِّضَى وَأَمَرَ الصَّائِغِينَ بِنَحْتِ صُنْدُوقَيْنِ مِنْ أَفْخَرِ أَحْجَارِ الْيَشْمِ — وَتَمَّ صَقْلُهُمَا بِرَمَادِ شَجَرَةِ الْوَاتُونْجِ — كَمَا أَمَرَ بِصُنْعِ مُسْتَخْلَصٍ نَقِيٍّ مِنْ أَفْخَرِ أَنْوَاعِ الْخَشَبِ النَّادِرِ الْمَكْسُوِّ بِالْكِلْسِ وَالْمُقَوَّى بِالنَّارِ. وَمِنْ هَذِهِ الْخَامَاتِ تَمَّ صُنْعُ مِزْهَرِيَّتَيْنِ، ثُمَّ تَمَّ فَرْكُ أَجْسَادِ وَمَلَابِسِ الْمَبْعُوثِينَ بِشَمْعِ الْأَشْجَارِ، ثُمَّ تَمَّ إِعْطَاؤُهُمْ خَمْسَمِائَةِ طَائِرِ سُنُونُو مَشْوِيٍّ كَيْ يَأْخُذُوهَا مَعَهُمْ.

دَخَلَ الْمَبْعُوثُونَ إِلَى الْكَهْفِ، وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى قَلْعَةِ التِّنِّينِ، اشْتَمَّ التِّنِّينُ الصَّغِيرُ الَّذِي كَانَ يَحْرُسُ الْبَوَّابَةَ رَائِحَةَ شَمْعِ الْأَشْجَارِ؛ وَلِذَلِكَ انْحَنَى لِأَسْفَلَ وَلَمْ يُؤْذِهِمْ. قَامُوا بِإِعْطَائِهِ مِائَةَ طَائِرِ سُنُونُو كَرِشْوَةٍ لِكَيْ يُعْلِنَ عَنْ وُصُولِهِمْ أَمَامَ ابْنَةِ الْمَلِكِ التِّنِّينِ. تَمَّ السَّمَاحُ لَهُمْ بِالدُّخُولِ عِنْدَهَا، وَقَدَّمُوا لَهَا الصُّنْدُوقَيْنِ الْمَصْنُوعَيْنِ مِنَ الْيَشْمِ، وَالْمِزْهَرِيَّتَيْنِ، وَالْأَرْبَعَمِائَةِ الطَّائِرِ السُّنُونُو كَهَدِيَّةٍ. اسْتَقْبَلَتْهُمُ ابْنَةُ الْمَلِكِ بِتَرْحَابٍ، وَقَامُوا بِفَتْحِ خِطَابِ الْإِمْبِرَاطُورِ.

كَانَ فِي دَاخِلِ الْقَلْعَةِ تِنِّينٌ يَتَجَاوَزُ عُمْرُهُ الْأَلْفَ عَامٍ. كَانَ يُمْكِنُهُ تَحْوِيلُ نَفْسِهِ إِلَى هَيْئَةِ الْبَشَرِ وَيَفْهَمُ لُغَتَهُمْ. وَمِنْ خِلَالِهِ عَرَفَتِ ابْنَةُ الْمَلِكِ أَنَّ الْإِمْبِرَاطُورَ يَبْعَثُ لَهَا بِالْهَدَايَا؛ وَلِذَلِكَ قَامَتْ بِإِرْسَالِ هَدِيَّةٍ تَتَكَوَّنُ مِنْ ثَلَاثٍ مِنَ اللَّآلِئِ الْكَبِيرَةِ الْحَجْمِ، وَسَبْعَةٍ مِنَ اللَّآلِئِ الْأَصْغَرِ حَجْمًا، وَعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ اللَّآلِئِ الْعَادِيَّةِ. أَخَذَهَا الْمَبْعُوثُونَ وَرَحَلُوا عَلَى ظَهْرِ أَحَدِ التَّنَانِينِ، وَفِي لَحْظَةٍ وَصَلُوا إِلَى ضِفَافِ نَهْرِ يانجتسي-كيانج. شَقُّوا طَرِيقَهُمْ إِلَى نانكينج، عَاصِمَةِ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ، وَهُنَاكَ سَلَّمُوا كَنْزَ الْجَوَاهِرِ.

كَانَ الْإِمْبِرَاطُورُ مَسْرُورًا جِدًّا وَعَرَضَ الْجَوَاهِرَ عَلَى الرَّجُلِ الْحَكِيمِ. قَالَ: «مِنْ بَيْنِ إِحْدَى اللَّآلِئِ الْكُبْرَى الثَّلَاثِ لُؤْلُؤَةُ التَّمَنِّي الْمُقَدَّسَةُ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ، وَالْأُخْرَيَانِ مِنْ لَآلِئِ التِّنِّينِ السَّوْدَاءِ مُتَوَسِّطَةِ الْجَوْدَةِ. مِنَ السَّبْعِ اللَّآلِئِ الْأَصْغَرِ اثْنَتَانِ مِنَ لَآلِئِ الْأَفَاعِي، وَالْخَمْسُ الْمُتَبَقِّيَةُ مِنْ لَآلِئِ الْمَحَارِ. وَاللَّآلِئُ الْبَاقِيَةُ يَتَكَوَّنُ بَعْضُهَا مِنْ لَآلِئِ الْغُرْنُوقِ، وَبَعْضُهَا الْآخَرُ

مِنْ لَآلِئِ الْحَلَزُونِ وَالْمَحَارِ. هِيَ لَا تُضَاهِي اللَّآلِئَ الْكَبِيرَةَ فِي الْقِيمَةِ وَلَكِنْ لَا يُوجَدُ مِثْلُهَا عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلٌ جِدًّا.»

عَرَضَهَا الْإِمْبرَاطُورُ عَلَى خَدَمِهِ أَيْضًا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ كَلَامَ الرَّجُلِ الْحَكِيمِ كُلَّهُ هُرَاءٌ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ.

ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ: «وَهَجُ لَآلِئِ التَّمَنِّي مِنَ الدَّرَجَةِ الْأُولَى يُمْكِنُ رُؤْيَتُهُ عَلَى بُعْدِ أَرْبَعِينَ مِيلًا، وَمِنَ الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى بُعْدِ عِشْرِينَ مِيلًا، وَمِنَ الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ عَلَى بُعْدِ عَشَرَةِ أَمْيَالٍ. لَا يُمْكِنُ لِلرِّيَاحِ أَوِ الْأَمْطَارِ، وَلَا الرَّعْدِ أَوِ الْبَرْقِ، وَلَا الْمِيَاهِ أَوِ النَّارِ، وَلَا حَتَّى الْأَسْلِحَةِ — الْوُصُولُ لِنَفْسِ الْمَسَافَةِ. أَمَّا لَآلِئُ التِّنِّينِ الْأَسْوَدِ فَلَهَا تِسْعَةُ أَلْوَانٍ، وَتُضِيءُ فِي اللَّيْلِ، وَيَكُونُ سُمُّ الْأَفَاعِي وَالدِّيدَانِ غَيْرَ فَعَّالٍ فِي مُحِيطِ نُورِهَا. لَآلِئُ الْأَفَاعِي لَهَا سَبْعَةُ أَلْوَانٍ. أَمَّا لَآلِئُ الْمَحَارِ فَلَهَا خَمْسَةُ أَلْوَانٍ. وَكِلْتَاهُمَا تُضِيئَانِ فِي اللَّيْلِ، وَالَّتِي يَخْلُو أَغْلَبُهَا مِنَ الْبُقَعِ هِيَ أَفْضَلُهَا. وَتَنْمُو هَذِهِ اللَّآلِئُ فِي الْمَحَارِ وَتَتَفَاوَتُ أَحْجَامُهَا حَسْبَ سُطُوعِ الْقَمَرِ.»

سَأَلَ أَحَدُهُمْ كَيْفَ يُمْكِنُ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ لَآلِئِ الْأَفَاعِي وَلَآلِئِ طُيُورِ الْغُرْنُوقِ، فَأَجَابَ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ: «الْحَيَوَانَاتُ نَفْسُهَا تَتَعَرَّفُ عَلَيْهَا.»

قَامَ الْإِمْبرَاطُورُ بِاخْتِيَارِ لُؤْلُؤَةِ أَفْعًى وَلُؤْلُؤَةِ غُرْنُوقٍ وَوَضَعَهُمَا مَعًا مَعَ مَجْمُوعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ اللَّآلِئِ الْعَادِيَّةِ، وَقَامَ بِإِلْقَائِهَا فِي الْبَاحَةِ، ثُمَّ تَمَّ إِحْضَارُ أَفْعًى صَفْرَاءَ كَبِيرَةٍ وَطَائِرِ غُرْنُوقٍ أَسْوَدَ، وَتَمَّ وَضْعُهُمَا بَيْنَ اللَّآلِئِ. وَفِي الْحَالِ، قَامَ الْغُرْنُوقُ بِأَخْذِ لُؤْلُؤَةِ الْغُرْنُوقِ بِمِنْقَارِهِ وَبَدَأَ يَرْقُصُ وَيُغَنِّي وَيُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْهِ، وَقَامَتِ الْأَفْعَى بِأَخْذِ لُؤْلُؤَةِ الْأَفْعَى وَالْتَفَّتْ حَوْلَ نَفْسِهَا. وَعِنْدَمَا شَاهَدَ النَّاسُ هَذَا اعْتَرَفُوا بِصِدْقِ كَلَامِ الرَّجُلِ الْحَكِيمِ.

فِي قَلْعَةِ التِّنِّينِ، تَمَتَّعَ الْمَبْعُوثُونَ بِطَعَامٍ لَذِيذٍ، مَذَاقُهُ كَالزُّهُورِ وَالْأَعْشَابِ وَالدُّهْنِ وَالسُّكَّرِ. وَقَدْ جَلَبُوا بَقَايَا مِنْهُ مَعَهُمْ إِلَى الْعَاصِمَةِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا تَعَرَّضَتِ الْبَقَايَا لِلْهَوَاءِ تَحَوَّلَتْ إِلَى حَجَرٍ. أَمَرَ الْإِمْبرَاطُورُ بِأَنْ تُحْفَظَ هَذِهِ الْبَقَايَا فِي خَزِينَةِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ مَنَحَ الْإِخْوَةَ الثَّلَاثَةَ مَكَانَةً وَأَلْقَابًا رَفِيعَةً، وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَلْفَ لِفَافَةٍ مِنَ الْحَرِيرِ الْفَاخِرِ، كَمَا اسْتَقْصَى سَبَبَ تَرْكِ التَّنَانِينِ لِلصَّيَّادِ بِدُونِ أَذًى عِنْدَمَا وَقَعَ فِي الْكَهْفِ. وَظَهَرَ أَنَّ مَلَابِسَ الصَّيْدِ كَانَتْ مُشَبَّعَةً بِالزَّيْتِ وَشَمْعِ الْأَشْجَارِ، وَقَدْ نَفَرَتِ التَّنَانِينُ مِنَ الرَّائِحَةِ.

الْأَمِيرَةُ الْمَنْفِيَّةُ

فِي زَمَنِ حُكْمِ سُلَالَةِ تانج، كَانَ يَعِيشُ رَجُلٌ اسْمُهُ ليو الْأَوَّلُ، وَكَانَ قَدْ فَشِلَ فِي اجْتِيَازِ اخْتِبَارَاتِ الدُّكْتُورَاهْ؛ وَلِذَلِكَ عَادَ إِلَى مَوْطِنِهِ مُجَدَّدًا. كَانَ قَدْ سَارَ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ أَمْيَالٍ عِنْدَمَا جَاءَ طَائِرٌ فَوْقَ الْحَقْلِ فَجَفَلَ حِصَانُهُ وَرَكَضَ عَشَرَةَ أَمْيَالٍ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ إِيقَافِهِ. وَهُنَاكَ شَاهَدَ امْرَأَةً كَانَتْ تَرْعَى الْغَنَمَ عَلَى مُنْحَدَرِ التَّلِّ. نَظَرَ إِلَيْهَا وَقَدْ كَانَتْ جَمِيلَةً، وَلَكِنْ كَانَ عَلَى وَجْهِهَا مَلَامِحُ حُزْنٍ مَخْفِيٍّ؛ فَسَأَلَهَا فِي دَهْشَةٍ مَا الْأَمْرُ؟

بَدَأَتِ الْمَرْأَةُ تَبْكِي وَقَالَتْ: «لَقَدْ تَخَلَّى الْحَظُّ عَنِّي وَأَنَا فِي ضِيقَةٍ وَأَشْعُرُ بِالْخِزْيِ، وَلِأَنَّكَ كُنْتَ مِنَ الطِّيبَةِ أَنْ سَأَلْتَ عَنْ حَالِي فَسَأَحْكِي لَكَ: أَنَا الِابْنَةُ الصُّغْرَى لِلْمَلِكِ التِّنِّينِ، مَلِكِ بَحْرِ دونجتينج، وَقَدْ كُنْتُ مُتَزَوِّجَةً مِنَ الِابْنِ الثَّانِي لِلْمَلِكِ التِّنِّينِ جينج دشاو، وَلَكِنَّ زَوْجِي كَانَ يُعَامِلُنِي بِقَسْوَةٍ وَقَدْ تَبَرَّأَ مِنِّي. شَكَوْتُهُ إِلَى وَالِدَيْهِ وَلَكِنْ كَانَ حُبُّهُمَا لِابْنِهِمَا أَعْمَى وَلَمْ يَفْعَلَا شَيْئًا، وَعِنْدَمَا أَصْرَرْتُ غَضِبَا وَبُعِثْتُ هُنَا لِأَرْعَى الْغَنَمَ.» عِنْدَمَا انْتَهَتِ السَّيِّدَةُ، لَمْ تَتَمَالَكْ نَفْسَهَا وَانْفَجَرَتْ فِي الْبُكَاءِ، ثُمَّ أَكْمَلَتْ: «إِنَّ بَحْرَ دونجتينج بَعِيدٌ عَنْ هُنَا، وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَمُرُّ بِهِ فِي طَرِيقِكَ لِمَوْطِنِكَ. أَوَدُّ أَنْ أُعْطِيَكَ خِطَابًا لِتُوَصِّلَهُ لِوَالِدِي، وَلَكِنْ لَا أَعْلَمُ إِنْ كُنْتَ سَتَقْبَلُ بِفِعْلِ ذَلِكَ.»

أَجَابَ ليو: «لَقَدْ حَرَّكَتْ كَلِمَاتُكِ قَلْبِي. لَوْ كَانَ لَدَيَّ أَجْنِحَةٌ لَطِرْتُ بِكِ بَعِيدًا. سَأُوَصِّلُ الْخِطَابَ لِوَالِدِكِ بِكُلِّ سُرُورٍ، وَلَكِنَّ بَحْرَ دونجتينج طَوِيلٌ وَوَاسِعٌ، فَكَيْفَ سَأَجِدُهُ؟»

أَجَابَتْهُ السَّيِّدَةُ: «عَلَى الشَّاطِئِ الْجَنُوبِيِّ تُوجَدُ شَجَرَةُ بُرْتُقَالٍ، يُطْلِقُ عَلَيْهَا النَّاسُ شَجَرَةَ التَّضْحِيَةِ. عِنْدَمَا تَصِلُ إِلَى هُنَاكَ يَجِبُ أَنْ تَفُكَّ حِزَامَكَ وَتَضْرِبَ بِهِ الشَّجَرَةَ ثَلَاثَ

مَرَّاتٍ مُتَتَابِعَةً، ثُمَّ سَيَظْهَرُ لَكَ شَخْصٌ يَجِبُ أَنْ تَتْبَعَهُ. عِنْدَمَا تَرَى وَالِدِي، أَخْبِرْهُ عَنْ حَالِي وَعَنِ احْتِيَاجِي الشَّدِيدِ لِمُسَاعَدَتِهِ.»

ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِطَابًا مِنْ ثَوْبِهَا وَأَعْطَتْهُ إِلَى ليو. انْحَنَتْ تَحِيَّةً لَهُ وَنَظَرَتْ إِلَى الشَّرْقِ وَتَنَهَّدَتْ، وَبِدُونِ إِنْذَارٍ سَقَطَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنِ ليو أَيْضًا. أَخَذَ ليو الْخِطَابَ وَوَضَعَهُ فِي حَقِيبَتِهِ.

ثُمَّ سَأَلَهَا: «لَا أَفْهَمُ لِمَاذَا عَلَيْكِ رَعْيُ الْغَنَمِ. هَلْ تَذْبَحُ الْآلِهَةُ الْمَاشِيَةَ مِثْلَ الْإِنْسَانِ؟»

أَجَابَتِ السَّيِّدَةُ: «إِنَّهَا لَيْسَتْ أَغْنَامًا عَادِيَّةً؛ إِنَّهَا أَغْنَامُ الْمَطَرِ.»

«وَلَكِنْ مَا هِيَ أَغْنَامُ الْمَطَرِ؟»

أَجَابَتِ السَّيِّدَةُ: «إِنَّهَا مَنْ تَتَسَبَّبُ فِي الرَّعْدِ.»

وَعِنْدَمَا دَقَّقَ النَّظَرَ، لَاحَظَ أَنَّ هَذِهِ الْأَغْنَامَ تَمْشِي بِفَخْرٍ وَفَظَاظَةٍ، وَمُخْتَلِفَةٌ جِدًّا عَنِ الْأَغْنَامِ الْعَادِيَّةِ.

أَضَافَ ليو: «وَلَكِنْ إِذَا وَصَّلْتُ الْخِطَابَ وَنَجَحْتُ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى بَحْرِ دونجتينج بِسَلَامٍ، عِنْدَهَا لَا تَعْتَبِرِينِي غَرِيبًا.»

أَجَابَتِ السَّيِّدَةُ: «كَيْفَ أَعْتَبِرُكَ غَرِيبًا؟ سَتُصْبِحُ صَدِيقِيَ الْمُقَرَّبَ.»

وَعَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ افْتَرَقَا.

فِي غُضُونِ شَهْرٍ، وَصَلَ ليو إِلَى بَحْرِ دونجتينج وَسَأَلَ عَنْ شَجَرَةِ الْبُرْتُقَالِ وَوَجَدَهَا بِالْفِعْلِ. فَكَّ حِزَامَهُ وَضَرَبَ الشَّجَرَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَظَهَرَ فِي الْحَالِ مُقَاتِلٌ مِنْ بَيْنِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ وَسَأَلَ: «مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ أَيُّهَا الزَّائِرُ؟»

قَالَ ليو: «لَقَدْ أَتَيْتُ فِي مَهَمَّةٍ وَأُرِيدُ رُؤْيَةَ الْمَلِكِ.»

أَشَارَ الْمُقَاتِلُ نَحْوَ الْمَاءِ وَقَدْ تَحَوَّلَتِ الْأَمْوَاجُ إِلَى طَرِيقٍ جَافٍّ قَادَ ليو خِلَالَهُ. كَانَتْ قَلْعَةُ التِّنِّينِ قَائِمَةً أَمَامَهُمَا بِبَوَّابَاتِهَا الْأَلْفِ، وَأَزْهَارِهَا السِّحْرِيَّةِ، وَعُشْبِهَا النَّادِرِ النَّامِي بِوَفْرَةٍ. أَمَرَهُ الْمُقَاتِلُ أَنْ يَنْتَظِرَ دَاخِلَ الْقَاعَةِ الْكَبِيرَةِ.

سَأَلَ ليو: «مَاذَا يُدْعَى هَذَا الْمَكَانُ؟»

كَانَتِ الْإِجَابَةُ: «قَاعَةُ الْأَرْوَاحِ.»

نَظَرَ ليو حَوْلَهُ وَرَأَى كُلَّ الْجَوَاهِرِ الْمَعْرُوفَةِ لَدَى الْإِنْسَانِ؛ كَانَتِ الْأَعْمِدَةُ مَصْنُوعَةً مِنَ الْمَرْوِ الْأَبْيَضِ وَمُرَصَّعَةً بِالْيَشْمِ الْأَخْضَرِ، وَالْمَقَاعِدُ كَانَتْ مَصْنُوعَةً مِنَ الْمَرْجَانِ،

وَالسَّتَائِرُ مَصْنُوعَةً مِنْ كِرِيسْتَالِ الْجِبَالِ النَّقِيِّ كَالْمَاءِ، وَالنَّوَافِذُ مِنَ الزُّجَاجِ الْمَصْقُولِ الْمُزَيَّنِ بِالتَّعَارِيشِ، وَعَوَارِضُ السَّقْفِ مُزَخْرَفَةً بِالْكَهْرَمَانِ وَالْوُرُودِ عِنْدَ الْمَدَاخِلِ. مَلَأَتِ الْقَاعَةَ رَائِحَةٌ غَرِيبَةٌ، وَاخْتَفَتْ حُدُودُهَا فِي الظَّلَامِ الْمُخَيِّمِ.

انْتَظَرَ ليو الْمَلِكَ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ. وَقَدْ أَجَابَ الْمُقَاتِلُ عَلَى كُلِّ أَسْئِلَتِهِ قَائِلًا: «سَيِّدُنَا يَتَشَرَّفُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ بِالْحَدِيثِ مَعَ كَاهِنِ الشَّمْسِ فِي أَعْلَى بُرْجِ الْمَرْجَانِ حَوْلَ كِتَابِ النَّارِ الْمُقَدَّسِ. إِنَّهُ، بِدُونِ شَكٍّ، سَيَنْتَهِي قَرِيبًا.»

سَأَلَ ليو: «وَلِمَاذَا يَهْتَمُّ هُوَ بِكِتَابِ النَّارِ الْمُقَدَّسِ؟»

وَكَانَتِ الْإِجَابَةُ: «إِنَّ سَيِّدَنَا تِنِّينٌ، وَالتَّنَانِينُ قَوِيَّةٌ بِقُوَّةِ الْمَاءِ. يُمْكِنُهُمْ غَمْرُ تَلٍّ وَوَادٍ بِمَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ. الْكَاهِنُ إِنْسَانٌ، وَالْبَشَرُ أَقْوِيَاءُ بِالنَّارِ. يُمْكِنُهُمْ حَرْقُ قُصُورٍ عَظِيمَةٍ بِشُعْلَةٍ وَاحِدَةٍ. النَّارُ وَالْمَاءُ يُقَاوِمَانِ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ لِاخْتِلَافِ طَبِيعَتِهِمَا؛ وَلِهَذَا السَّبَبِ يَتَحَدَّثُ سَيِّدِي الْآنَ مَعَ الْكَاهِنِ مِنْ أَجْلِ إِيجَادِ طَرِيقَةٍ لِكَيْ يُكْمِلَ النَّارُ وَالْمَاءُ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ.»

قَبْلَ انْتِهَاءِ حَدِيثِهِمَا، ظَهَرَ رَجُلٌ يَرْتَدِي ثَوْبًا أُرْجُوَانِيًّا وَيُمْسِكُ صَوْلَجَانًا مِنَ الْيَشْمِ فِي يَدِهِ.

قَالَ الْمُقَاتِلُ: «هَذَا هُوَ سَيِّدِي!»

انْحَنَى ليو تَحِيَّةً لَهُ.

سَأَلَ الْمَلِكُ: «أَلَسْتَ إِنْسَانًا حَيًّا؟ مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَى هُنَا؟»

أَخْبَرَهُ ليو بِاسْمِهِ وَشَرَحَ قَائِلًا: «لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَى الْعَاصِمَةِ وَهُنَاكَ رَسَبْتُ فِي امْتِحَانِي، وَعِنْدَمَا كُنْتُ مَارًّا بِنَهْرِ جينج دشاو، رَأَيْتُ ابْنَتَكَ الَّتِي تُحِبُّهَا تَرْعَى الْغَنَمَ فِي الْبَرِّيَّةِ. طَيَّرَتِ الرِّيَاحُ شَعْرَهَا وَبَلَّلَتْهَا الْأَمْطَارُ. لَمْ أَحْتَمِلْ رُؤْيَتَهَا فِي شِدَّتِهَا وَتَحَدَّثْتُ مَعَهَا. اشْتَكَتْ مِنْ أَنَّ زَوْجَهَا قَدْ رَمَاهَا بَعِيدًا وَبَكَتْ بِحُرْقَةٍ، ثُمَّ أَعْطَتْنِي خِطَابًا مِنْ أَجْلِكَ؛ وَلِهَذَا السَّبَبِ جِئْتُ لِزِيَارَتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ!»

وَعِنْدَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، أَخْرَجَ ليو الْخِطَابَ وَأَعْطَاهُ لِلْمَلِكِ، وَعِنْدَمَا قَرَأَهُ الْأَخِيرُ خَبَّأَ وَجْهَهُ فِي أَكْمَامِ ثَوْبِهِ وَقَالَ فِي حَسْرَةٍ: «إِنَّهَا غَلْطَتِي. لَقَدِ اخْتَرْتُ زَوْجًا حَقِيرًا لَهَا؛ فَبَدَلًا مِنْ ضَمَانِ السَّعَادَةِ لَهَا جَلَبْتُ لَهَا الْعَارَ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ. أَنْتَ غَرِيبٌ وَلَكِنَّكَ كُنْتَ مُسْتَعِدًّا لِمُسَاعَدَتِهَا فِي مِحْنَتِهَا وَأَنَا مُمْتَنٌّ لَكَ كَثِيرًا.» ثُمَّ بَدَأَ الْمَلِكُ يَبْكِي مُجَدَّدًا وَقَدْ ذَرَفَ كُلُّ مَنْ حَوْلَهُ الدُّمُوعَ.

عِنْدَ ذَلِكَ، أَعْطَى الْمَلِكُ الْخِطَابَ لِلْخَادِمِ، فَأَخَذَهُ إِلَى دَاخِلِ الْقَصْرِ، وَسُرْعَانَ مَا جَاءَ صَوْتُ الْعَوِيلِ مِنَ الْغُرَفِ الدَّاخِلِيَّةِ.

تَنَبَّهَ الْمَلِكُ وَالْتَفَتَ لِلْمَسْئُولِ قَائِلًا: «اذْهَبْ وَأْمُرْهُمْ أَلَّا يَبْكُوا بِصَوْتٍ عَالٍ! أَخْشَى أَنْ يَسْمَعَهُمْ تسيان تانج!»

سَأَلَ ليو: «مَنْ يَكُونُ تسيان تانج؟»

أَجَابَ الْمَلِكُ: «إِنَّهُ أَخِي الْحَبِيبُ. كَانَ حَاكِمَ نَهْرِ تسيان تانج وَلَكِنَّهُ تَنَحَّى الْآنَ.»

سَأَلَ ليو: «وَلِمَاذَا يَجِبُ إِخْفَاءُ الْأَمْرِ عَنْهُ؟»

كَانَتِ الْإِجَابَةُ: «إِنَّهُ جَامِحٌ وَيَتَعَذَّرُ التَّحَكُّمُ فِيهِ؛ فَأَخْشَى أَنْ يُسَبِّبَ ضَرَرًا كَبِيرًا. كَانَ الْفَيَضَانُ الَّذِي غَمَرَ الْأَرْضَ لِمُدَّةِ تِسْعِ سَنَوَاتٍ فِي عَهْدِ الْإِمْبَرَاطُورِ ياو مِنْ نِتَاجِ غَضَبِهِ؛ لِأَنَّهُ اخْتَلَفَ مَعَ أَحَدِ مُلُوكِ السَّمَاءِ فَسَبَّبَ فَيَضَانًا عَظِيمًا وَصَلَ إِلَى قِمَمِ خَمْسَةِ جِبَالٍ شَاهِقَةٍ. غَضِبَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ مِنْهُ وَكَلَّفَنِي بِحِرَاسَتِهِ. تَوَجَّبَ عَلَيَّ تَقْيِيدُهُ إِلَى عَمُودٍ فِي قَصْرِي.»

قَبْلَ انْتِهَائِهِ مِنَ الْحَدِيثِ حَدَثَتْ فَوْضَى عَارِمَةٌ؛ قُسِمَتِ السَّمَاءُ، وَجَعَلَتِ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ؛ فَكَانَ الْقَصْرُ بِأَكْمَلِهِ يَرْتَجُّ، وَارْتَفَعَ السَّحَابُ وَالدُّخَانُ يُحْدِثَانِ حَفِيفًا. انْدَفَعَ تِنِّينٌ أَحْمَرُ اللَّوْنِ، طُولُهُ أَلْفُ قَدَمٍ، عَيْنَاهُ ثَاقِبَتَانِ، لِسَانُهُ أَحْمَرُ لَوْنَ الدِّمَاءِ، حَرَاشِفُهُ قَانِيَةٌ وَلِحْيَتُهُ نَارِيَّةٌ. كَانَ التِّنِّينُ يَجُرُّ وَرَاءَهُ فِي الْهَوَاءِ عَمُودًا تَمَّ تَقْيِيدُهُ إِلَيْهِ. زَئِرَ الرَّعْدُ وَالْبَرْقُ حَوْلَ جَسَدِهِ، وَانْهَمَرَتِ الْأَمْطَارُ وَالثُّلُوجُ حَوْلَهُ فِي فَوْضَى. دَوَّى هَزِيمُ الرَّعْدِ فَجْأَةً وَطَارَ التِّنِّينُ إِلَى السَّمَاءِ وَاخْتَفَى.

سَقَطَ ليو أَرْضًا مِنَ الرُّعْبِ. سَاعَدَهُ الْمَلِكُ عَلَى الْوُقُوفِ بِنَفْسِهِ وَقَالَ: «لَا تَخَفْ! هَذَا أَخِي الْمُتَّجِهُ إِلَى جينج دشاو فِي غَضَبٍ. سَنَسْمَعُ أَخْبَارًا سَارَّةً عَنْ قَرِيبٍ.»

ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْضَارِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لِضَيْفِهِ. عِنْدَمَا امْتَلَأَتِ الْكُئُوسُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، هَبَّتْ نَسْمَةُ هَوَاءٍ هَامِسَةٌ وَتَسَاقَطَ مَطَرٌ خَفِيفٌ. دَخَلَ شَابٌّ يَرْتَدِي ثَوْبًا أُرْجُوَانِيًّا وَقُبَّعَةً شَامِخَةً، وَيَتَدَلَّى سَيْفٌ مِنْ جَانِبِهِ. كَانَ مَنْظَرُهُ يُوحِي بِالرُّجُولَةِ وَالْبُطُولَةِ. خَلْفَهُ كَانَتْ تَسِيرُ فَتَاةٌ تُشِعُّ بِالْجَمَالِ، وَتَرْتَدِي ثَوْبًا رَائِحَتُهُ ذَكِيَّةٌ. وَعِنْدَمَا نَظَرَ ليو إِلَيْهَا، وَجَدَ أَنَّهَا الْأَمِيرَةُ التِّنِّينُ الَّتِي قَابَلَهَا فِي طَرِيقِهِ! اسْتَقْبَلَهَا حَشْدٌ مِنَ الْفَتَيَاتِ يَرْتَدِينَ الْأَثْوَابَ الْوَرْدِيَّةَ وَهُنَّ يَضْحَكْنَ وَيَقُدْنَهَا إِلَى دَاخِلِ الْقَصْرِ. أَمَّا الْمَلِكُ فَقَدْ قَدَّمَ ليو إِلَى الشَّابِّ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ تسيان تانج؛ أَخِي!»

شَكَرَهُ تسيان تانج لِإِحْضَارِهِ الْخِطَابَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَخِيهِ وَقَالَ: «لَقَدْ قَاتَلْتُ التَّنَانِينَ الْمَلْعُونَةَ وَهَزَمْتُهُمْ شَرَّ هَزِيمَةٍ!»

«كَمْ وَاحِدًا قَتَلْتَ؟»

«سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ.»

«هَلْ تَضَرَّرَتْ أَيُّ حُقُولٍ؟»

«لَقَدْ تَضَرَّرَتِ الْحُقُولُ لِمَسَافَةِ ثَمَانِمِائَةِ مِيلٍ.»

«وَأَيْنَ هُوَ الزَّوْجُ الْعَدِيمُ الرَّحْمَةِ؟»

«لَقَدْ أَكَلْتُهُ حَيًّا!»

فَانْزَعَجَ الْمَلِكُ وَقَالَ: «مَا فَعَلَهُ الْفَتَى الْمُتَقَلِّبُ كَانَ لَا يُحْتَمَلُ. وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ، وَلَكِنَّكَ كُنْتَ عَنِيفًا بَعْضَ الشَّيْءِ مَعَهُ. فِي الْمُسْتَقْبَلِ يَجِبُ أَلَّا تَقُومَ بِمِثْلِ هَذَا الْفِعْلِ مُجَدَّدًا.» وَقَدْ وَعَدَهُ تسيان تانج بِذَلِكَ.

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ تَمَّ الِاحْتِفَالُ بليو فِي الْقَلْعَةِ. أَضَافَتِ الْمُوسِيقَى وَالرَّقْصُ جَوًّا سَاحِرًا عَلَى الْوَلِيمَةِ. كَانَ أَلْفُ مُقَاتِلٍ يَحْمِلُونَ الْأَعْلَامَ وَالرِّمَاحَ فِي أَيْدِيهِمْ وَيَقِفُونَ فِي تَأَهُّبٍ. تَرَدَّدَ صَدَى آلَاتِ التُّرُومْبُونِ وَالْأَبْوَاقِ، وَدَقَّتِ الطُّبُولُ أَثْنَاءَ تَأْدِيَةِ الْمُقَاتِلِينَ لِرَقْصَةِ حَرْبٍ. وَصَفَتْ هَذِهِ الْمُوسِيقَى كَيْفَ خَرَقَ تسيان تانج صُفُوفَ الْأَعْدَاءِ، وَقَدْ وَقَفَ شَعْرُ الضَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ فِي رُعْبٍ لِمَا سَمِعَ، ثُمَّ بَدَأَتْ مُوسِيقَى الْآلَاتِ الْوَتَرِيَّةِ وَالنَّايِ وَالْأَجْرَاسِ الذَّهَبِيَّةِ الصَّغِيرَةِ، وَرَقَصَتْ فِي الْأَرْجَاءِ أَلْفُ فَتَاةٍ يَرْتَدِينَ الْحَرِيرَ الْقُرْمُزِيَّ وَالْأَخْضَرَ. ثُمَّ وَصَفَتْ عَوْدَةَ الْأَمِيرَةِ أَيْضًا بِالْأَنْغَامِ. كَانَتِ الْمُوسِيقَى تَبْدُو حَزِينَةً، وَقَدْ تَأَثَّرَ كُلُّ مَنْ سَمِعَهَا وَبَكَى. كَانَ مَلِكُ بَحْرِ دونجتينج سَعِيدًا جِدًّا. رَفَعَ كَأْسَهُ وَشَرِبَ نَخْبَ ضَيْفِهِ وَزَوَالِ كُلِّ الْحُزْنِ عَنْهُمْ. شَكَرَ الْحُكَّامُ ليو بِأَبْيَاتٍ شِعْرِيَّةٍ، وَقَدْ أَجَابَهُمْ ليو بِنَخْبٍ. صَفَّقَتِ الْحَاشِيَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْقَاعَةِ. أَخْرَجَ مَلِكُ بَحْرِ دونجتينج سَلَّةً زَرْقَاءَ اللَّوْنِ كَانَ بِهَا قَرْنُ فَرَسِ النَّهْرِ، وَالَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْسِمَ صَفْحَةَ الْمِيَاهِ. أَخْرَجَ تسيان تانج طَبَقًا مِنَ الْكَهْرَمَانِ الْأَحْمَرِ وَعَلَيْهِ عَقِيقٌ أَحْمَرُ. قَدَّمُوا ذَلِكَ إِلَى الضَّيْفِ، وَقَدْ وَضَعَ النُّزَلَاءُ الْآخَرُونَ فِي الْقَصْرِ مُطَرَّزَاتٍ وَلَآلِئَ بِجَانِبِهِ. جَلَسَ ليو مُبْتَسِمًا وَهُوَ مُحَاطٌ بِالْبَرِيقِ وَالضَّوْءِ، وَانْحَنَى تَحِيَّةً لِكُلِّ مَنْ حَوْلَهُ. عِنْدَمَا انْتَهَتِ الْوَلِيمَةُ، نَامَ ليو فِي قَصْرٍ مِنَ الْبَرِيقِ الْمُتَجَمِّدِ.

فِي الْيَوْمِ التَّالِي، أُقِيمَتْ وَلِيمَةٌ أُخْرَى. جَلَسَ تسيان تانج، وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ طَبِيعِيًّا، عَلَى كُرْسِيِّهِ لَا مُبَالٍ وَقَالَ: «أَمِيرَةُ بَحْرِ دونجتينج جَمِيلَةٌ وَلَطِيفَةٌ. تَعَرَّضَتْ إِلَى مِحْنَةِ تَخَلِّي زَوْجِهَا عَنْهَا، وَالْيَوْمَ أَصْبَحَ زَوَاجُهَا لَاغِيًا. أَوَدُّ أَنْ أَجِدَ لَهَا زَوْجًا آخَرَ. إِذَا كُنْتَ مُوَافِقًا فَسَيَكُونُ مِنْ حَظِّكَ، وَلَكِنْ إِذَا كُنْتَ لَا تَوَدُّ الزَّوَاجَ مِنْهَا؛ فَلْتَمْضِ فِي طَرِيقِكَ وَيَجِبُ أَلَّا نَلْتَقِيَ مُجَدَّدًا، وَلَنْ يَعْرِفَ أَحَدُنَا الْآخَرَ.»

غَضِبَ ليو مِنَ الطَّرِيقَةِ اللَّامُبَالِيَةِ الَّتِي تَحَدَّثَ تسيان تانج بِهَا مَعَهُ. صَعِدَ الدَّمُ إِلَى رَأْسِهِ فَأَجَابَ: «لَقَدْ أَوْصَلْتُ الرِّسَالَةَ لِأَنِّي شَعَرْتُ بِالْأَسَفِ عَلَى الْأَمِيرَةِ، وَلَيْسَ لِنَيْلِ مَنْفَعَةٍ لِنَفْسِي. قَتْلُ زَوْجٍ وَالْفَوْزُ بِالزَّوْجَةِ هُوَ شَيْءٌ لَا يَفْعَلُهُ رَجُلٌ شَرِيفٌ؛ وَحَيْثُ إِنِّي رَجُلٌ عَادِيٌّ، أُفَضِّلُ الْمَوْتَ عَلَى أَنْ أَفْعَلَ مَا تَقُولُ.»

وَقَفَ تسيان تانج وَاعْتَذَرَ قَائِلًا: «كَانَتْ كَلِمَاتِي طَائِشَةً. أَتَمَنَّى أَلَّا تَنْزَعِجَ مِنْهَا!» وَتَحَدَّثَ مَلِكُ بَحْرِ دونجتينج بِلُطْفٍ مَعَهُ أَيْضًا وَانْتَقَدَ تسيان تانج بِعُنْفٍ عَلَى كَلَامِهِ الْفَظِّ. وَهَكَذَا لَمْ يُنَاقَشْ أَمْرُ الزَّوَاجِ مَرَّةً أُخْرَى.

فِي الْيَوْمِ التَّالِي، اسْتَأْذَنَ ليو لِلرَّحِيلِ وَأَقَامَتْ مَلِكَةُ بَحْرِ دونجتينج وَلِيمَةَ وَدَاعٍ عَلَى شَرَفِهِ.

قَالَتِ الْمَلِكَةُ دَامِعَةً إِلَى ليو: «ابْنَتِي مَدِينَةٌ لَكَ بِالشُّكْرِ وَالْعِرْفَانِ وَلَمْ تَسْنَحْ لَنَا الْفُرْصَةُ لِتَعْوِيضِكَ. وَالْآنَ أَنْتَ رَاحِلٌ وَنُوَدِّعُكَ بِقُلُوبٍ حَزِينَةٍ.»

ثُمَّ أَمَرَتِ الْأَمِيرَةَ بِأَنْ تَشْكُرَ ليو.

وَقَفَتِ الْأَمِيرَةُ بِخَجَلٍ وَانْحَنَتْ تَحِيَّةً لَهُ وَقَالَتْ: «لَنْ نَرَى بَعْضَنَا مَرَّةً أُخْرَى عَلَى الْأَرْجَحِ!» ثُمَّ اخْتَنَقَتْ بِعَبْرَتِهَا.

صَحِيحٌ أَنَّ ليو قَدْ قَاوَمَ إِلْحَاحَ عَمِّ الْأَمِيرَةِ الشَّدِيدَ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا شَاهَدَهَا أَمَامَهُ بِكُلِّ سِحْرِهَا وَجَمَالِهَا، شَعَرَ بِالْحُزْنِ فِي قَلْبِهِ، وَلَكِنَّهُ تَمَالَكَ نَفْسَهُ وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ. كَانَتِ الْكُنُوزُ الَّتِي أَخَذَهَا مَعَهُ لَا تُحْصَى، وَقَدْ رَافَقَهُ الْمَلِكُ وَأَخُوهُ بِأَنْفُسِهِمَا حَتَّى النَّهْرِ.

عِنْدَمَا عَادَ إِلَى مَوْطِنِهِ، بَاعَ مَا لَا يَزِيدُ عَلَى جُزْءٍ مِنَ الْمِائَةِ مِمَّا أَخَذَهُ وَحَسْبُ، وَكَانَتْ ثَرْوَتُهُ قَدْ بَلَغَتْ مَلَايِينَ، وَكَانَ أَغْنَى مِنْ كُلِّ جِيرَانِهِ. قَرَّرَ الزَّوَاجَ وَسَمِعَ عَنْ أَرْمَلَةٍ تَعِيشُ فِي الشَّمَالِ مَعَ ابْنَتِهَا. كَانَ وَالِدُهَا قَدِ اتَّبَعَ فَلْسَفَةَ التَّاوِ فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ، وَقَدِ اخْتَفَى بَيْنَ

السَّحَابِ وَلَمْ يَعُدْ مُطْلَقًا. كَانَتِ الْأُمُّ تَعِيشُ فِي فَقْرٍ مَعَ ابْنَتِهَا، وَلَكِنْ حَيْثُ إِنَّ الْفَتَاةَ كَانَتْ جَمِيلَةً فَوْقَ الْوَصْفِ، فَأُمُّهَا كَانَتْ تَبْحَثُ عَنْ زَوْجٍ مُتَمَيِّزٍ لَهَا.

كَانَ ليو رَاضِيًا عَنِ اخْتِيَارِهِ لَهَا، وَتَمَّ تَحْدِيدُ مَوْعِدِ الزِّفَافِ. وَعِنْدَمَا رَأَى الْعَرُوسَ بِدُونِ حِجَابٍ فِي لَيْلَةِ الزِّفَافِ، كَانَتْ تَبْدُو مِثْلَ الْأَمِيرَةِ التِّنِّينِ. سَأَلَهَا عَنِ الْأَمْرِ وَلَكِنَّهَا اكْتَفَتْ بِالِابْتِسَامِ لَهُ وَلَمْ تَقُلْ شَيْئًا.

بَعْدَ فَتْرَةٍ أَرْسَلَتْ لَهُ السَّمَاءُ ابْنًا. عِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: «الْيَوْمَ سَأَعْتَرِفُ لَكَ أَنَّنِي بِالْفِعْلِ أَمِيرَةُ بَحْرِ دونجتينج. عِنْدَمَا رَفَضْتَ عَرْضَ عَمِّي وَرَحَلْتَ، مَرِضْتُ مِنَ الشَّوْقِ وَكُنْتُ عَلَى مَشَارِفِ الْمَوْتِ. أَرَادَ وَالِدَايَ اسْتِدْعَاءَكَ وَلَكِنْ خَشِيَا أَنْ تُهِينَ عَائِلَتِي. وَهَكَذَا تَزَوَّجْتُكَ كَامْرَأَةٍ بَشَرِيَّةٍ مُتَخَفِّيَةً. لَمْ أَجْرُؤْ عَلَى إِخْبَارِكَ حَتَّى الْآنَ، وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ السَّمَاءَ قَدْ أَرْسَلَتْ لَنَا وَلَدًا، فَأَتَمَنَّى أَنْ تُحِبَّ أُمَّهُ أَيْضًا.»

شَعَرَ ليو وَكَأَنَّهُ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمٍ عَمِيقٍ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ أَحَبَّ الِاثْنَانِ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ حُبًّا جَمًّا.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ قَالَتْ زَوْجَتُهُ: «إِذَا أَرَدْتَ الْبَقَاءَ مَعِي إِلَى الْأَبَدِ؛ فَعَلَيْنَا أَلَّا نَعِيشَ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ. نَحْنُ — التِّنَانِينَ — نَعِيشُ عَشَرَةَ آلَافِ عَامٍ وَسَتُشَارِكُنَا فِي طُولِ عُمْرِنَا. عُدْ مَعِي إِلَى بَحْرِ دونجتينج!»

مَرَّتْ عَشَرَةُ أَعْوَامٍ وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَكَانَ ليو الَّذِي اخْتَفَى، ثُمَّ عَنْ طَرِيقِ الْمُصَادَفَةِ أَبْحَرَ أَحَدُ أَقْرِبَائِهِ فِي بَحْرِ دونجتينج، وَفَجْأَةً ظَهَرَ جَبَلٌ أَزْرَقُ مِنْ وَسَطِ الْمِيَاهِ.

صَرَخَ الْبَحَّارَةُ فِي فَزَعٍ: «لَا يُوجَدُ جَبَلٌ فِي هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ! لَا بُدَّ وَأَنَّهُ وَحْشٌ مَائِيٌّ!»

بَيْنَمَا كَانُوا يُشِيرُونَ إِلَى الْجَبَلِ وَيَتَحَدَّثُونَ، اقْتَرَبَ الْجَبَلُ مِنَ السَّفِينَةِ، وَانْزَلَقَ قَارِبٌ مُلَوَّنٌ بِأَلْوَانٍ مُبْهِجَةٍ مِنْ قِمَّتِهِ إِلَى الْمِيَاهِ. جَلَسَ رَجُلٌ فِي مُنْتَصَفِ الْقَارِبِ وَوَقَفَتِ الْجِنِّيَّاتُ عَلَى جَانِبَيْهِ. كَانَ الرَّجُلُ هُوَ ليو. أَشَارَ إِلَى قَرِيبِهِ وَأَمْسَكَ الْأَخِيرُ بِثِيَابِهِ وَرَكِبَ الْقَارِبَ مَعَهُ، وَلَكِنْ بِمُجَرَّدِ دُخُولِهِ الْقَارِبَ، تَحَوَّلَ الْقَارِبُ إِلَى جَبَلٍ. عَلَى الْجَبَلِ كَانَتْ تَقِفُ قَلْعَةٌ فَخْمَةٌ، وَدَاخِلَ الْقَلْعَةِ وَقَفَ ليو مُحَاطًا بِالْبَهَاءِ وَتَنْبَعِثُ مِنْ حَوْلِهِ الْمُوسِيقَى.

حَيَّا أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، وَقَالَ ليو لِقَرِيبِهِ: «لَقَدِ افْتَرَقْنَا لِلَحْظَةٍ فَقَطْ وَقَدْ شَابَ شَعْرُ رَأْسِكَ!»

أَجَابَهُ قَرِيبُهُ: «أَنْتَ إِلَهٌ وَمُبَارَكٌ. أَنَا أَمْلِكُ جَسَدَ فَانٍ. وَهَذَا حُكْمُ الْقَدَرِ.»

فَأَعْطَاهُ ليو خَمْسِينَ حَبَّةً وَقَالَ: «كُلُّ حَبَّةٍ سَتَمُدُّ مِنْ عُمُرِكَ عَامًا. عِنْدَمَا تَعِيشُ كُلَّ هَذِهِ الْأَعْوَامِ، تَعَالَ إِلَيَّ وَلَا تَعِشْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ؛ حَيْثُ لَا يُوجَدُ سِوَى الْعَنَاءِ وَالشَّقَاءِ.»

ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَى الْبَحْرِ وَاخْتَفَى.

انْعَزَلَ قَرِيبُهُ عَنِ الْعَالَمِ، وَبَعْدَ مُرُورِ خَمْسِينَ عَامًا وَبَعْدَمَا كَانَ قَدْ أَخَذَ كُلَّ الْحَبَّاتِ، اخْتَفَى وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ.

الْفَتَاةُ الَّتِي سُرِقَتْ

فِي الْمِنْطَقَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ الْعَاصِمَةِ الْقَدِيمَةِ لو يانج، كَانَ يَقَعُ دَيْرٌ مُتَهَدِّمٌ، قَائِمٌ فِيهِ مَعْبَدٌ بُوذِيٌّ ضَخْمٌ يَبْلُغُ طُولُهُ مِئَاتِ الْأَدْوَارِ، كَمَا كَانَ يُمْكِنُ لِثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ أَشْخَاصٍ الْوُقُوفُ فَوْقَ قِمَّتِهِ.

كَانَ عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ تَسْكُنُ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ. وَفِي أَحَدِ أَيَّامِ الصَّيْفِ الْحَارَّةِ، كَانَتْ تَجْلِسُ فِي بَاحَةِ مَنْزِلِهَا تَلْتَمِسُ الْهَوَاءَ الْبَارِدَ. وَبَيْنَمَا كَانَتْ جَالِسَةً هَبَّ إِعْصَارٌ وَأَخَذَهَا بَعِيدًا. عِنْدَمَا فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا، كَانَتْ تَقِفُ عَلَى قِمَّةِ الْمَعْبَدِ الْبُوذِيِّ وَبِجَانِبِهَا شَابٌّ يَرْتَدِي مَلَابِسَ التَّلَامِيذِ.

كَانَ مُهَذَّبًا وَلَطِيفًا جِدًّا وَقَالَ لَهَا: «يَبْدُو أَنَّ السَّمَاءَ أَرَادَتْ أَنْ تَجْمَعَنَا مَعًا، وَإِذَا وَعَدْتِنِي بِالزَّوَاجِ مِنِّي؛ فَسَنَكُونُ سُعَدَاءَ جِدًّا.» وَلَكِنَّ الْفَتَاةَ لَمْ تُوَافِقْ عَلَى ذَلِكَ؛ لِذَا أَخْبَرَهَا التِّلْمِيذُ أَنَّهُ حَتَّى تُغَيِّرَ رَأْيَهَا يَجِبُ أَنْ تَبْقَى عَلَى قِمَّةِ الْمَعْبَدِ، ثُمَّ أَخْرَجَ خُبْزًا وَنَبِيذًا؛ لِتُشْبِعَ جُوعَهَا وَتُطْفِئَ عَطَشَهَا، وَاخْتَفَى.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ، كَانَ يَظْهَرُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْأَلُهَا إِذَا كَانَتْ قَدْ غَيَّرَتْ رَأْيَهَا، وَكُلَّ يَوْمٍ كَانَتْ تُجِيبُهُ بِالنَّفْيِ. عِنْدَمَا كَانَ يَرْحَلُ، كَانَ يَحْرِصُ عَلَى إِغْلَاقِ فَتَحَاتِ قِمَّةِ الْمَعْبَدِ بِالْأَحْجَارِ، كَمَا أَزَالَ بَعْضَ الدَّرَجَاتِ مِنَ السُّلَّمِ حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ النُّزُولَ، وَكَانَ يُحْضِرُ لَهَا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ مَعَهُ دَائِمًا، كَمَا قَدَّمَ لَهَا أَحْمَرَ الشِّفَاهِ وَبُودْرَةَ التَّجْمِيلِ، وَكَذَلِكَ الْأَثْوَابَ وَمَعَاطِفَ الْمَانْدَرِينِ وَكُلَّ أَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ. أَخْبَرَهَا أَنَّهُ اشْتَرَى كُلَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مِنَ السُّوقِ. قَامَ أَيْضًا بِتَعْلِيقِ حَجَرِ يَاقُوتٍ حَتَّى يَكُونَ سَطْحُ الْمَعْبَدِ مُضَاءً فِي اللَّيْلِ مِثْلَ النَّهَارِ. كَانَتِ الْفَتَاةُ تَمْلِكُ كُلَّ مَا يَتَمَنَّاهُ الْقَلْبُ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ سَعِيدَةً.

وَلَكِنْ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، نَسِيَ الشَّابُّ إِغْلَاقَ النَّافِذَةِ بَعْدَ رَحِيلِهِ، وَرَاقَبَتْهُ الْفَتَاةُ بِدُونِ مَعْرِفَتِهِ، وَرَأَتْ أَنَّهُ يَتَحَوَّلُ مِنْ شَابٍّ إِلَى غُولٍ ذِي شَعْرٍ أَحْمَرَ وَوَجْهٍ أَسْوَدَ كَالْفَحْمِ. كَانَتْ عَيْنَاهُ تَكَادَانِ تَخْرُجَانِ مِنْ مَحْجِرَيْهِمَا وَيَبْدُو فَمُهُ كَطَبَقٍ مُلِئَ بِالدِّمَاءِ. كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهِ أَنْيَابٌ بَيْضَاءُ مَعْقُوفَةٌ، وَنَمَا جَنَاحَانِ مِنْ أَكْتَافِهِ. فَرَدَ الْغُولُ جَنَاحَيْهِ وَطَارَ نُزُولًا إِلَى الْأَرْضِ وَتَحَوَّلَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى رَجُلٍ.

تَمَلَّكَ الرُّعْبُ الْفَتَاةَ وَانْفَجَرَتْ فِي الْبُكَاءِ. رَأَتْ عَابِرًا وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى أَسْفَلِ الْمَعْبَدِ. حَاوَلَتِ الصُّرَاخَ وَلَكِنَّ الْمَعْبَدَ كَانَ عَالِيًا جِدًّا فَلَمْ يَصِلْ لَهُ صَوْتُهَا. أَشَارَتْ بِيَدِهَا وَلَكِنَّ الْعَابِرَ لَمْ يَنْظُرْ لِأَعْلَى، ثُمَّ لَمْ تَجِدْ أَيَّ شَيْءٍ تَفْعَلُهُ إِلَّا أَنْ تُلْقِيَ الْمَلَابِسَ الْقَدِيمَةَ الَّتِي كَانَتْ تَرْتَدِيهَا إِلَى أَسْفَلَ. وَطَارَتِ الْمَلَابِسُ إِلَى الْأَرْضِ.

الْتَقَطَ الْعَابِرُ الْمَلَابِسَ ثُمَّ نَظَرَ لِأَعْلَى الْمَعْبَدِ فَوَجَدَ عَلَى قِمَّتِهِ شَيْئًا صَغِيرًا يَبْدُو كَهَيْئَةِ فَتَاةٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ تَحْدِيدِ مَلَامِحِهَا. بَقِيَ طَوِيلًا يَتَسَاءَلُ مَنْ تَكُونُ وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى، ثُمَّ خَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ.

قَالَ لِنَفْسِهِ: «لَقَدْ حَمَلَتْ عَاصِفَةٌ سِحْرِيَّةٌ ابْنَةَ جَارِي بَعِيدًا. هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً فِي الْأَعْلَى هُنَاكَ؟»

وَهَكَذَا أَخَذَ الرَّجُلُ الْمَلَابِسَ وَعَرَضَهَا عَلَى وَالِدَيِ الْفَتَاةِ اللَّذَيْنِ انْفَجَرَا فِي الْبُكَاءِ عِنْدَمَا رَأَيَاهَا.

وَقَدْ كَانَ لِلْفَتَاةِ أَخٌ، وَكَانَ أَقْوَى وَأَشْجَعَ مِنْ أَيِّ شَابٍّ عَلَى بُعْدِ أَمْيَالٍ. وَعِنْدَمَا عَرَفَ بِالْأَمْرِ، أَخَذَ فَأْسًا ثَقِيلًا وَذَهَبَ إِلَى الْمَعْبَدِ الْبُوذِيِّ. وَهُنَاكَ اخْتَبَأَ بَيْنَ الْعُشْبِ الطَّوِيلِ وَانْتَظَرَ مَا سَيَحْدُثُ. عِنْدَمَا كَانَتِ الشَّمْسُ عَلَى وَشْكِ الْغُرُوبِ، جَاءَ شَابٌّ يَجْتَازُ التَّلَّ عَلَى الْأَقْدَامِ، وَفَجْأَةً تَحَوَّلَ إِلَى غُولٍ وَفَرَدَ جَنَاحَيْهِ وَكَانَ عَلَى وَشْكِ الطَّيَرَانِ، وَلَكِنَّ الْأَخَ قَذَفَ الْفَأْسَ نَحْوَهُ وَضَرَبَهُ فِي ذِرَاعِهِ. بَدَأَ الْغُولُ فِي الْعُوَاءِ بِصَوْتٍ عَالٍ، ثُمَّ هَرَبَ إِلَى التِّلَالِ الْغَرْبِيَّةِ. عِنْدَمَا وَجَدَ الْأَخُ أَنَّ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ تَسَلُّقَ الْمَعْبَدِ، رَجَعَ وَطَلَبَ مُسَاعَدَةَ عَدِيدٍ مِنَ الْجِيرَانِ، وَعَادَ مَعَهُمْ فِي الْيَوْمِ التَّالِي وَتَسَلَّقُوا الْمَعْبَدَ. مُعْظَمُ الدَّرَجَاتِ كَانَتْ فِي حَالَةٍ جَيِّدَةٍ؛ حَيْثُ إِنَّ الْغُولَ قَدْ دَمَّرَ الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا فَقَطْ، وَلَكِنَّهُمْ تَمَكَّنُوا مِنَ الصُّعُودِ بِاسْتِخْدَامِ سُلَّمٍ، وَعِنْدَهَا تَمَكَّنَ الْأَخُ مِنْ إِحْضَارِ أُخْتِهِ وَأَعَادَهَا إِلَى الْمَنْزِلِ بِسَلَامٍ.

وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ نِهَايَةَ مَفْعُولِ السِّحْرِ.

الْأَمِيرَةُ الضُّفْدَعُ

فِي مُنْتَصَفِ مَجْرَى نَهْرِ يانجتسي-كيانج، كَانَ يُعْبَدُ الْمَلِكُ الضُّفْدَعُ بِتَفَانٍ شَدِيدٍ. كَانَ هُنَاكَ لَهُ مَعْبَدٌ وَتُوجَدُ آلَافُ الضَّفَادِعِ فِي الْمَنَاطِقِ الْمُحِيطَةِ، وَبَعْضُهَا أَحْجَامُهُ ضَخْمَةٌ. مَنْ يَجْلِبْ عَلَى نَفْسِهِ غَضَبَ الْإِلَهِ يَتَعَرَّضْ لِزِيَارَاتٍ غَرِيبَةٍ. تَقْفِزُ الضَّفَادِعُ عَلَى الطَّاوِلَاتِ وَالْأَسِرَّةِ، وَفِي بَعْضِ الْحَالَاتِ الْغَرِيبَةِ تَتَسَلَّقُ الْحَوَائِطَ الْمَلْسَاءَ بِدُونِ أَنْ تَسْقُطَ. يُوجَدُ عِدَّةُ عَلَامَاتٍ مُنْذِرَةٌ بِالسُّوءِ، وَلَكِنْ كُلُّهَا دَلَائِلُ عَلَى أَنَّ مَكْرُوهًا يُهَدِّدُ الْمَنْزِلَ الْمَذْكُورَ؛ فَيُصْبِحُ سُكَّانُ هَذَا الْمَنْزِلِ مَذْعُورِينَ، وَيَذْبَحُونَ بَقَرَةً لِتَقْدِيمِهَا كَأُضْحِيَةٍ؛ فَيَهْدَأُ الْإِلَهُ وَلَا يَحْدُثُ شَيْءٌ.

فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْبِلَادِ كَانَ يَعِيشُ شَابٌّ يُدْعَى سيا كونج-شونج. كَانَ شَابًّا وَسِيمًا وَذَكِيًّا. عِنْدَمَا كَانَ عُمُرُهُ سِتَّ أَوْ سَبْعَ سَنَوَاتٍ، دَخَلَتْ خَادِمَةٌ تَرْتَدِي ثَوْبًا أَخْضَرَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَتْ إِنَّهَا مَبْعُوثَةٌ مِنَ الْمَلِكِ الضُّفْدَعِ، وَأَعْلَنَتْ أَنَّ الْمَلِكَ الضُّفْدَعَ يَرْغَبُ فِي تَزْوِيجِ ابْنَتِهِ إِلَى سيا الصَّغِيرِ. كَانَ سيا الْأَكْبَرُ رَجُلًا أَمِينًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَكِيًّا جِدًّا. وَحَيْثُ إِنَّ الْأَمْرَ لَمْ يُنَاسِبْهُ؛ فَقَدَ رَفَضَ الْعَرْضَ مُتَعَلِّلًا بِأَنَّ ابْنَهُ لَا يَزَالُ صَغِيرًا عَلَى الزَّوَاجِ. وَبِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَجْرُؤْ عَلَى إِيجَادِ زَوْجَةٍ أُخْرَى لَهُ.

ثُمَّ مَرَّتْ عِدَّةُ سَنَوَاتٍ وَكَبِرَ الصَّبِيُّ بِالتَّدْرِيجِ، وَتَمَّ الِاتِّفَاقُ عَلَى الزَّوَاجِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَيِّدَةٍ تُدْعَى جيانج.

وَلَكِنَّ الْمَلِكَ الضُّفْدَعَ أَرْسَلَ رِسَالَةً إِلَى السَّيِّدَةِ جيانج قَائِلًا: «سيا الشَّابُّ هُوَ زَوْجُ ابْنَتِي؛ كَيْفَ تَجْرُئِينَ عَلَى طَلَبِ مَا لَيْسَ مِلْكَكِ!» فَارْتَعَبَ الْأَبُ جيانج وَسَحَبَ وَعْدَهُ.

جَعَلَ ذَلِكَ سيا الْأَكْبَرَ حَزِينًا جِدًّا. جَهَّزَ أُضْحِيَةً وَذَهَبَ إِلَى الْمَعْبَدِ لِلصَّلَاةِ. وَضَّحَ قَائِلًا إِنَّهُ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ غَيْرُ جَدِيرٍ بِأَنْ يُصْبِحَ قَرِيبًا لِإِلَهٍ. وَعِنْدَمَا انْتَهَى مِنَ الصَّلَاةِ، ظَهَرَ حَشْدٌ

مِنْ يَرَقَاتِ الْعَفَنِ فِي لَحْمِ الْأُضْحِيَةِ وَالنَّبِيذِ؛ فَقَامَ بِالتَّخَلُّصِ مِنْهَا وَتَوَسَّلَ مِنْ أَجْلِ الْمَغْفِرَةِ، وَعَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَهُوَ مُتَوَجِّسٌ شَرًّا. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَاذَا يَفْعَلُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْأُمُورَ تَأْخُذُ مَجْرَاهَا.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ خَرَجَ سيا الشَّابُّ إِلَى الشَّارِعِ. اقْتَرَبَ مِنْهُ مَبْعُوثٌ وَأَخْبَرَهُ نِيَابَةً عَنِ الْمَلِكِ الضُّفْدَعِ أَنَّ الْأَخِيرَ يَطْلُبُ حُضُورَ سيا إِلَيْهِ. لَمْ يَكُنْ سيا يَمْلِكُ خِيَارًا آخَرَ؛ كَانَ عَلَيْهِ اتِّبَاعُ الْمَبْعُوثِ. قَادَهُ عَبْرَ بَوَّابَةٍ حَمْرَاءَ إِلَى غُرَفٍ شَاسِعَةٍ عَالِيَةِ الْأَسْقُفِ. فِي الْقَاعَةِ الْكَبِيرَةِ، كَانَ يَجْلِسُ رَجُلٌ عَجُوزٌ يَبْدُو وَكَأَنَّ عُمُرَهُ ثَمَانُونَ عَامًا. أَجْلَسَ سيا نَفْسَهُ عَلَى الْأَرْضِ أَمَامَهُ احْتِرَامًا لَهُ. أَمَرَهُ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ بِأَنْ يَقِفَ وَحَدَّدَ لَهُ مَكَانًا إِلَى الطَّاوِلَةِ. وَسُرْعَانَ مَا احْتَشَدَ عَدِيدٌ مِنَ الْفَتَيَاتِ وَالنِّسَاءِ لِيَنْظُرْنَ إِلَيْهِ. الْتَفَتَ نَحْوَهُنَّ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ وَقَالَ: «اذْهَبْنَ إِلَى غُرْفَةِ الْعَرُوسِ وَأَخْبِرْنَهَا أَنَّ الْعَرِيسَ قَدْ حَضَرَ!»

رَكَضَتْ خَادِمَتَانِ سَرِيعًا، وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَتِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ مِنَ الْغُرَفِ الدَّاخِلِيَّةِ تَقُودُ فَتَاةً مُمْسِكَةً بِيَدِهَا. كَانَتْ تَبْدُو فِي السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهَا وَرَائِعَةَ الْجَمَالِ. أَشَارَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ نَحْوَهَا وَقَالَ: «هَذِهِ ابْنَتِي الْعَاشِرَةُ الصَّغِيرَةُ. يَبْدُو لِي أَنَّكُمَا سَتُشَكِّلَانِ زَوْجًا سَعِيدًا، وَلَكِنَّ وَالِدَكَ احْتَقَرَنَا بِسَبَبِ اخْتِلَافِ عِرْقِنَا. لَكِنَّ زَوَاجَ الْمَرْءِ أَمْرٌ مُهِمٌّ لِمَدَى الْحَيَاةِ. يُمْكِنُ لِأَهْلِنَا التَّحَكُّمُ فِي جُزْءٍ مِنْهُ فَقَطْ. فِي النِّهَايَةِ يَقَعُ الْأَمْرُ عَلَى عَاتِقِ الْمَرْءِ نَفْسِهِ.»

نَظَرَ سيا بِثَبَاتٍ إِلَى الْفَتَاةِ وَنَمَا إِعْجَابُهُ بِهَا فِي دَاخِلِهِ. جَلَسَ هُنَاكَ فِي صَمْتٍ. أَكْمَلَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ: «أَعْرِفُ جَيِّدًا أَنَّ الشَّابَّ النَّبِيلَ سَيُوَافِقُ. اسْبِقْنَا وَنَحْنُ سَنَجْلِبُ الْعَرُوسَ لَكَ!»

قَالَ سيا إِنَّهُ سَيَفْعَلُ وَأَسْرَعَ لِإِخْبَارِ وَالِدِهِ. لَمْ يَعْرِفِ الْأَبُ مَاذَا يَفْعَلُ مِنْ دَهْشَتِهِ. اقْتَرَحَ مُبَرِّرًا وَأَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ سيا لِيَرْفُضَ الْعَرُوسَ بِلُطْفٍ، وَلَكِنَّ سيا لَمْ يَقْبَلْ بِذَلِكَ. وَأَثْنَاءَ جِدَالِهِمَا فِي الْأَمْرِ، كَانَتْ عَرَبَةُ الْعَرُوسِ أَمَامَ الْبَابِ بِالْفِعْلِ. كَانَتْ مُحَاطَةً بِحَشْدٍ مِنَ الْمَعَاطِفِ الْخَضْرَاءِ، وَدَخَلَتِ السَّيِّدَةُ إِلَى الْمَنْزِلِ وَانْحَنَتْ لِتَحِيَّةِ حَمَوَيْهَا. وَعِنْدَمَا نَظَرَ الِاثْنَانِ إِلَيْهَا سَعِدَا بِهَا وَتَمَّ إِعْلَانُ الزَّوَاجِ فِي اللَّيْلَةِ نَفْسِهَا.

عَاشَ الزَّوْجَانِ الْجَدِيدَانِ فِي سَلَامٍ وَتَفَاهُمٍ، وَبَعْدَ زَوَاجِهِمَا كَثِيرًا مَا كَانَ الْحَمَوَانِ الْإِلَهَانِ يَأْتِيَانِ لِمَنْزِلِهِمَا. عِنْدَمَا كَانَا يَظْهَرَانِ مُرْتَدِيَيْنِ الْأَحْمَرَ، كَانَ يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ حَظًّا جَيِّدًا

سَيُصِيبُهُمَا، وَعِنْدَمَا يَأْتِيَانِ مُرْتَدِيَيْنِ الْأَبْيَضَ، كَانَ يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا سَيَجْنِيَانِ شَيْئًا. وَبِذَلِكَ، عَلَى مَدَارِ الْوَقْتِ، أَصْبَحَتِ الْعَائِلَةُ غَنِيَّةً.

وَلَكِنْ مُنْذُ أَنْ أَصْبَحَا أَقْرِبَاءَ الْآلِهَةِ، امْتَلَأَتِ الْغُرَفُ وَالْبَاحَاتُ وَكُلُّ الْأَمَاكِنِ الْأُخْرَى بِالضَّفَادِعِ، وَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ عَلَى أَذِيَّتِهَا. وَحْدَهُ سيا كونج-شونج كَانَ صَغِيرًا وَلَمْ يُبْدِ أَيَّ مُرَاعَاةٍ. عِنْدَمَا يَكُونُ فِي مِزَاجٍ جَيِّدٍ كَانَ لَا يُضَايِقُهَا، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَكُونُ مِزَاجُهُ عَكِرًا كَانَ لَا يَعْرِفُ الرَّحْمَةَ، وَكَانَ يَدُوسُ عَلَيْهَا عَنْ قَصْدٍ وَيَقْتُلُهَا.

فِي الْمُجْمَلِ، كَانَتْ زَوْجَتُهُ الصَّغِيرَةُ مُتَوَاضِعَةً وَمُطِيعَةً؛ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَفْقِدُ أَعْصَابَهَا بِسُهُولَةٍ. لَمْ تَكُنْ تُوَافِقُ عَلَى سُلُوكِ زَوْجِهَا، وَلَكِنَّ سيا لَمْ يَقُمْ بِإِرْضَائِهَا وَالتَّخَلِّي عَنْ عَادَتِهِ الْقَاسِيَةِ؛ وَلِذَلِكَ عَنَّفَتْهُ بِسَبَبِهَا فَغَضِبَ.

وَقَالَ لَهَا: «هَلْ تَتَخَيَّلِينَ أَنَّهُ بِسَبَبِ مَقْدِرَةِ أَهْلِكِ عَلَى إِنْزَالِ الْمَصَائِبِ عَلَى الْبَشَرِ أَنَّ رَجُلًا حَقِيقِيًّا سَيَخَافُ مِنْ ضُفْدَعٍ؟»

كَانَتْ زَوْجَتُهُ تَتَفَادَى بِحِرْصٍ نُطْقَ لَفْظِ «ضُفْدَعٍ»؛ وَلِذَلِكَ فَقَدْ أَغْضَبَهَا كَلَامُهُ وَقَالَتْ: «مُنْذُ أَنْ عِشْتُ فِي مَنْزِلِكَ أَثْمَرَتْ حُقُولُكَ مَحْصُولًا أَكْبَرَ، وَقَدْ جَنَيْتُمْ أَعْلَى الْأَسْعَارِ عِنْدَ الْبَيْعِ. وَهَذَا شَيْءٌ مُهِمٌّ. وَلَكِنِ الْآنَ، بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ كَبِيرُكُمْ وَصَغِيرُكُمْ غَنِيًّا، تَوَدُّ أَنْ تَتَصَرَّفَ كَبُومَةٍ صَغِيرَةٍ تَفْقَعُ عَيْنَ وَالِدَتِهَا بِمُجَرَّدِ تَعَلُّمِهَا الطَّيَرَانَ!»

صَارَ سيا غَاضِبًا أَكْثَرَ وَأَجَابَ: «هَذِهِ الْهَدَايَا لَمْ يَكُنْ مَرْغُوبًا بِهَا مِنْ طَرَفِي لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ؛ حَيْثُ أَعْتَبِرُهَا غَيْرَ نَظِيفَةٍ. لَنْ أُوَافِقَ عَلَى تَرْكِ هَذِهِ الْمُمْتَلَكَاتِ إِلَى أَبْنَائِي وَأَحْفَادِي. يُسْتَحْسَنُ أَنْ نَنْفَصِلَ عَلَى الْفَوْرِ!»

وَهَكَذَا جَعَلَ زَوْجَتَهُ تَهْجُرُ الْمَنْزِلَ، وَقَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ وَالِدَاهُ شَيْئًا عَنِ الْأَمْرِ كَانَتْ قَدْ رَحَلَتْ. عَنَّفَهُ وَالِدَاهُ بِشِدَّةٍ وَأَمَرَاهُ أَنْ يَذْهَبَ وَيُعِيدَهَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ غَاضِبًا جِدًّا وَلَمْ يَنْصَعْ لَهُمَا.

فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ مَرِضَ هُوَ وَأُمُّهُ. شَعَرَا بِالضَّعْفِ وَلَمْ يَتَمَكَّنَا مِنَ الْأَكْلِ. كَانَ الْأَبُ قَلِقًا جِدًّا فَذَهَبَ إِلَى الْمَعْبَدِ لِيَطْلُبَ الْمَغْفِرَةَ، وَصَلَّى بِخُشُوعٍ حَتَّى إِنَّ زَوْجَتَهُ وَابْنَهُ تَعَافَيَا فِي غُضُونِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، كَمَا عَادَتِ الْأَمِيرَةُ الضُّفْدَعَةُ، وَعَاشُوا مَعًا بِسَعَادَةٍ وَرِضًا كَمَا فِي السَّابِقِ.

وَلَكِنَّ الشَّابَّةَ كَانَتْ تَجْلِسُ طَوَالَ الْيَوْمِ مَشْغُولَةً فَقَطْ بِحُلِيِّهَا وَصِبْغَاتِهَا، وَلَمْ تُشْغِلْ نَفْسَهَا بِالْخِيَاطَةِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ عَلَى وَالِدَةِ سيا كونج-شونج الْعِنَايَةُ بِمَلَابِسِ ابْنِهَا.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ غَضِبَتْ وَالِدَتُهُ وَقَالَتْ: «لَدَى ابْنِي زَوْجَةٌ وَلَكِنْ لَا يَزَالُ عَلَيَّ الْقِيَامُ بِكُلِّ الْعَمَلِ! فِي الْمَنَازِلِ الْأُخْرَى تَخْدُمُ الْكَنَّةُ حَمَاتَهَا، وَلَكِنْ فِي مَنْزِلِنَا تَخْدُمُ الْحَمَاةُ كَنَّتَهَا.»

سَمِعَتِ الْأَمِيرَةُ هَذَا الْكَلَامَ مُصَادَفَةً. دَخَلَتْ وَهِيَ مُنْفَعِلَةٌ وَقَالَتْ: «هَلْ قُمْتُ بِإِهْمَالِ زِيَارَتِكِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ كَمَا هُوَ لَائِقٌ؟ خَطَئِي الْوَحِيدُ هُوَ أَنِّي لَنْ أَتَحَمَّلَ عِبْءَ كُلِّ هَذَا الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ تَوْفِيرِ مَبْلَغٍ تَافِهٍ مِنَ الْمَالِ!» لَمْ تُجِبِ الْأُمُّ بِأَيِّ كَلِمَةٍ وَلَكِنَّهَا بَكَتْ بِحَسْرَةٍ عَلَى الْإِهَانَةِ الَّتِي وُجِّهَتْ لَهَا.

جَاءَ ابْنُهَا، وَلَاحَظَ أَنَّ أُمَّهُ تَبْكِي. أَصَرَّ عَلَى مَعْرِفَةِ السَّبَبِ وَعَرَفَ بِمَا جَرَى. ذَهَبَ إِلَى زَوْجَتِهِ بِغَضَبٍ، فَقَامَتْ هِيَ بِالِاعْتِرَاضِ وَرَفَضَتِ الِاعْتِرَافَ بِأَنَّهَا كَانَتْ مُخْطِئَةً. وَأَخِيرًا قَالَ سيا: «عَدَمُ وُجُودِ زَوْجَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَفْضَلُ مِنْ وُجُودِ زَوْجَةٍ لَا تَقُومُ عَلَى سَعَادَةِ حَمَاتِهَا. مَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ لِي إِذَا أَغْضَبْتُهُ غَيْرَ إِنْزَالِ الْمَصَائِبِ عَلَيَّ وَأَخْذِ حَيَاتِي؟!» وَهَكَذَا أَبْعَدَ زَوْجَتَهُ مَرَّةً أُخْرَى عَنِ الْمَنْزِلِ.

تَرَكَتِ الْأَمِيرَةُ مَنْزِلَهَا وَرَحَلَتْ. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، انْدَلَعَتِ النِّيرَانُ فِي الْمَنْزِلِ وَانْتَشَرَتْ فِي بَعْضِ الْمَبَانِي الْأُخْرَى؛ الطَّاوِلَاتُ وَالْأَسِرَّةُ وَكُلُّ شَيْءٍ كَانَ قَدِ احْتَرَقَ.

سيا، الَّذِي كَانَ غَاضِبًا بِسَبَبِ الْحَرِيقِ، ذَهَبَ إِلَى الْمَعْبَدِ لِيَشْتَكِيَ: «تَرْبِيَةُ ابْنَةٍ بِطَرِيقَةٍ تَجْعَلُهَا لَا تُرْضِي حَمَوَيْهَا تُبْرِزُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ تَهْذِيبٌ فِي الْمَنْزِلِ الَّذِي تَرَبَّتْ فِيهِ. وَالْآنَ أَنْتَ تُشَجِّعُ تَصَرُّفَاتِهَا. يُقَالُ إِنَّ الْآلِهَةَ عَادِلَةٌ. هَلْ هُنَاكَ آلِهَةٌ تُعَلِّمُ الرِّجَالَ أَنْ يَخْشَوْا زَوْجَاتِهِمْ؟ بِالْمُصَادَفَةِ تَقَعُ مَسْئُولِيَّةُ الشِّجَارِ عَلَيَّ وَحْدِي. لَمْ يَكُنْ لِوَالِدَيَّ دَخْلٌ بِالْأَمْرِ. إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عِقَابِي عِقَابًا صَارِمًا، كَانَ يُمْكِنُكَ تَنْفِيذُ هَذَا الْعِقَابِ بِنَفْسِكَ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ؛ وَلِذَلِكَ سَأَحْرِقُ مَنْزِلَكَ لِكَيْ أُشْبِعَ رَغْبَتِي فِي الْعَدْلِ!»

وَبَدَأَ فِي تَجْمِيعِ قِطَعِ الْخَشَبِ أَمَامَ الْمَعْبَدِ، وَأَشْعَلَ شَرَارَةً وَأَرَادَ أَنْ يُضْرِمَ النَّارَ فِي الْخَشَبِ. جَاءَ الْجِيرَانُ رَكْضًا وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ؛ وَلِذَلِكَ ابْتَلَعَ غَضَبَهُ وَعَادَ أَدْرَاجَهُ لِمَنْزِلِهِ.

عِنْدَمَا سَمِعَ وَالِدَاهُ بِالْأَمْرِ، امْتُقِعَ وَجْهَاهُمَا فِي خَوْفٍ، وَلَكِنْ فِي اللَّيْلِ ظَهَرَ الْإِلَهُ لِسُكَّانِ الْقَرْيَةِ الْمُجَاوِرَةِ وَأَمَرَهُمْ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ مَنْزِلِ زَوْجِ ابْنَتِهِ. وَعِنْدَمَا بَزَغَ الْفَجْرُ، حَمَلُوا أَخْشَابَ الْبِنَاءِ وَحَضَرَ الْعُمَّالُ لِلْبِنَاءِ مِنْ أَجْلِ سيا، وَلَمْ يَمْنَعْ عَمَلَهُمْ أَيُّ شَيْءٍ مِمَّا قَالَهُ. طَوَالَ الْيَوْمِ، كَانَ مِئَاتُ الْعُمَّالِ مَشْغُولِينَ فِي أَعْمَالِ الْبِنَاءِ. وَفِي غُضُونِ الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ، كَانَتْ كُلُّ الْغُرَفِ قَدْ

تَمَّتْ إِعَادَةُ بِنَائِهَا، وَكُلُّ الْأَوْعِيَةِ وَالسَّتَائِرِ وَالْأَثَاثِ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ. وَعِنْدَمَا انْتَهَى الْعَمَلُ كُلُّهُ، عَادَتِ الْأَمِيرَةُ أَيْضًا. صَعِدَتِ الدَّرَجَ إِلَى الْغُرْفَةِ الرَّئِيسِيَّةِ، وَاعْتَرَفَتْ بِخَطَئِهَا بِكَلِمَاتٍ رَقِيقَةٍ وَبِمَحَبَّةٍ، ثُمَّ الْتَفَتَتْ إِلَى سيا كونج-شونج وَابْتَسَمَتْ لَهُ. وَبَدَلًا مِنَ الْغَضَبِ، امْتَلَأَ الْمَنْزِلُ بِالسَّعَادَةِ. وَبَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ أَصْبَحَتِ الْأَمِيرَةُ مُسَالِمَةً بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ، وَمَرَّ عَامَانِ بِدُونِ أَنْ تَلْفِظَ أَيَّ كَلِمَةٍ غَاضِبَةٍ.

كَانَتِ الْأَمِيرَةُ تَكْرَهُ الثَّعَابِينَ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ. وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، عَلَى سَبِيلِ الدُّعَابَةِ، وَضَعَ سيا الشَّابُّ ثُعْبَانًا صَغِيرًا فِي حُزْمَةٍ وَأَمَرَهَا بِأَنْ تَفْتَحَهَا. امْتُقِعَ وَجْهُ الْأَمِيرَةِ وَوَبَّخَتْهُ. أَخَذَ سيا كونج-شونج مَزْحَتَهُ بِجِدِّيَّةٍ وَتَطَايَرَتِ الْكَلِمَاتُ الْغَاضِبَةُ.

وَأَخِيرًا قَالَتِ الْأَمِيرَةُ: «فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لَنْ أَنْتَظِرَ حَتَّى تَرْمِيَنِي خَارِجًا. هُوَ فِرَاقٌ بَيْنَنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ!» وَهَكَذَا خَرَجَتْ مِنَ الْبَابِ.

فَزِعَ سيا الْأَبُ، وَضَرَبَ ابْنَهُ بِنَفْسِهِ بِعَصَاهُ، وَتَوَسَّلَ إِلَى الْإِلَهِ لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا وَغَفُورًا. وَلِحُسْنِ الْحَظِّ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ عَوَاقِبَ شِرِّيرَةٍ. كَانَ الْجَوُّ هَادِئًا وَلَا يُسْمَعُ أَيُّ صَوْتٍ.

وَعَلَى هَذَا الْحَالِ مَرَّ أَكْثَرُ مِنْ عَامٍ. اشْتَاقَ سيا كونج-شونج لِلْأَمِيرَةِ وَأَخَذَ الْأَمْرَ بِجِدِّيَّةٍ؛ فَكَانَ يَتَسَلَّلُ إِلَى الْمَعْبَدِ فِي السِّرِّ وَيَنْتَحِبُ عَلَى خَسَارَتِهِ لِلْأَمِيرَةِ، وَلَكِنْ لَمْ يُجِبْهُ أَيُّ صَوْتٍ. وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، سَمِعَ أَنَّ الْإِلَهَ قَدْ خَطَبَ ابْنَتَهُ إِلَى رَجُلٍ آخَرَ. وَهَكَذَا فَقَدَ الْأَمَلَ وَفَكَّرَ فِي أَنْ يَبْحَثَ عَنْ زَوْجَةٍ أُخْرَى لَهُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مَهْمَا بَحَثَ لَا يَجِدُ مَنْ تُمَاثِلُ الْأَمِيرَةَ. وَقَدْ زَادَ هَذَا مِنْ شَوْقِهِ إِلَيْهَا، وَذَهَبَ إِلَى مَنْزِلِ عَائِلَةِ يوان، الَّتِي خُطِبَتِ الْأَمِيرَةُ لِأَحَدِ أَفْرَادِهَا. كَانُوا هُنَاكَ قَدْ طَلَوُا الْجُدْرَانَ وَكَنَسُوا الْبَاحَةَ وَجَهَّزُوا كُلَّ شَيْءٍ لِاسْتِقْبَالِ الْعَرُوسِ. غَلَبَ النَّدَمُ وَالْحُزْنُ سيا وَلَمْ يَعُدْ يَأْكُلُ فَسَقَطَ مَرِيضًا. كَانَ أَهْلُهُ مَذْعُورِينَ خَوْفًا وَقَلَقًا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مُسَاعَدَتِهِ.

وَفَجْأَةً، بَيْنَمَا كَانَ سيا يَسْتَلْقِي شِبْهَ غَائِبٍ عَنِ الْوَعْيِ، شَعَرَ بِأَحَدٍ يُمَرِّرُ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَسَمِعَ صَوْتًا يَقُولُ: «وَكَيْفَ حَالُ زَوْجِي الْحَقِيقِيِّ الَّذِي أَصَرَّ عَلَى إِبْعَادِ زَوْجَتِهِ؟»

فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَرَأَى الْأَمِيرَةَ أَمَامَهُ.

قَفَزَ مِنَ الْفَرْحَةِ وَقَالَ: «كَيْفَ يُعْقَلُ أَنَّكِ عُدْتِ لِي؟» أَجَابَتِ الْأَمِيرَةُ: «فِي الْحَقِيقَةِ، بِسَبَبِ طَرِيقَتِكَ السَّيِّئَةِ فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ، كَانَ يَجِبُ أَنْ آخُذَ بِنَصِيحَةِ وَالِدِي وَأَتَزَوَّجَ رَجُلًا آخَرَ. وَفِي الْوَاقِعِ، إِنَّ هَدَايَا الزَّوَاجِ مِنْ عَائِلَةِ يوان مُلْقَاةٌ فِي مَنْزِلِي مُنْذُ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَلَكِنِّي فَكَّرْتُ

وَفَكَّرْتُ وَلَمْ أَسْتَطِعْ حَمْلَ نَفْسِي عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ. كَانَ سَيُقَامُ حَفْلُ الزِّفَافِ اللَّيْلَةَ، وَيَظُنُّ وَالِدِي أَنَّهُ مِنَ الْعَارِ أَنْ نُعِيدَ هَدَايَا الزِّفَافِ؛ وَلِذَلِكَ قُمْتُ بِالْأَمْرِ بِنَفْسِي وَوَضَعْتُهَا أَمَامَ بَابِ مَنْزِلِهِمْ. وَعِنْدَمَا خَرَجْتُ هُرِعَ أَبِي إِلَيَّ وَقَالَ: «أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ الْمَجْنُونَةُ، لَنْ تَسْتَمِعِي إِلَى كَلَامِي إِذَنْ! إِذَا عَامَلَكِ سيا بِطَرِيقَةٍ سَيِّئَةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَلَنْ أَتَدَخَّلَ، حَتَّى وَإِنْ كَانُوا سَيَقْتُلُونَكِ فَلَنْ تَعُودِي إِلَى مَنْزِلِي مُجَدَّدًا!»

انْهَمَرَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنِ سيا تَأَثُّرًا بِوَفَائِهَا، وَرَكَضَ الْخَدَمُ مِنْ فَرْحَتِهِمْ إِلَى الْوَالِدَيْنِ لِيُخْبِرُوهُمَا بِالْأَخْبَارِ السَّعِيدَةِ. وَعِنْدَمَا سَمِعَ وَالِدَاهُ بِالْخَبَرِ، لَمْ يَسْتَطِيعَا انْتِظَارَ مَجِيءِ الزَّوْجَيْنِ إِلَيْهِمَا، فَهُرِعَا إِلَى غُرَفِ ابْنِهِمَا وَاسْتَقْبَلَا الْأَمِيرَةَ وَبَكَيَا. أَصْبَحَ سيا الشَّابُّ، أَيْضًا، نَاضِجًا هَذِهِ الْمَرَّةَ وَلَمْ يَعُدْ مُشَاغِبًا، وَأَصْبَحَ الْحُبُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ يَكْبَرُ بِصِدْقٍ مَعَ الْأَيَّامِ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ قَالَتْ لَهُ الْأَمِيرَةُ: «فِي السَّابِقِ، عِنْدَمَا كُنْتَ تُعَامِلُنِي بِسُوءٍ دَائِمًا، كُنْتُ أَخْشَى أَلَّا يَكُونَ أَحَدُنَا مَعَ الْآخَرِ حِينَ نَكْبَرُ فِي الْعُمُرِ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ أَطْلُبْ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ تُعْطِيَنَا طِفْلًا، وَلَكِنِ الْآنَ تَغَيَّرَ الْأَمْرُ وَسَأَتَوَسَّلُ لِلْآلِهَةِ مِنْ أَجْلِ وَلَدٍ.»

وَبِالْفِعْلِ، وَقَبْلَ مُضِيِّ وَقْتٍ طَوِيلٍ، ظَهَرَ وَالِدَا الْأَمِيرَةِ فِي الْمَنْزِلِ مُرْتَدِيَيْنِ أَثْوَابًا حَمْرَاءَ، وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ أَرْسَلَتِ السَّمَاءُ لِلزَّوْجَيْنِ وَلَدَيْنِ بَدَلًا مِنْ وَلَدٍ وَاحِدٍ.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَمْ تَنْقَطِعْ صِلَاتُهُمْ مَعَ الْمَلِكِ الضُّفْدَعِ. وَعِنْدَمَا كَانَ أَحَدٌ يُغْضِبُ الْإِلَهَ، كَانَ فِي الْبِدَايَةِ يُحَاوِلُ أَنْ يُقْنِعَ سيا الشَّابَّ بِالتَّحَدُّثِ نِيَابَةً عَنْهُ، وَيَبْعَثُ بِزَوْجَتِهِ وَابْنَتِهِ إِلَى الْأَمِيرَةِ الضُّفْدَعِ لِطَلَبِ مُسَاعَدَتِهَا. وَإِذَا ضَحِكَتِ الْأَمِيرَةُ، فَسَيُصْبِحُ الْأَمْرُ يَسِيرًا.

انْحَدَرَتْ مِنْ عَائِلَةِ سيا سُلَالَةٌ كَبِيرَةٌ يُلَقِّبُهُمُ النَّاسُ وَالْأَبْعَدُونَ عَنْهُمْ «الرِّجَالَ الضَّفَادِعَ»، وَلَكِنَّ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبِينَ مِنْهُمْ لَا يُلَقِّبُونَهُمْ بِذَلِكَ.

